

## تصدير

لعل الكثير من قراء مجلة «قصص» لا يدركون حقيقة الدور الذي قامت به هذه المجلة خلال السنوات التي مرت عليها منذ صدورها في سبتمبر 1966 . ولا نغني هنا مجال هذا الدور في المحيط الوطني والقومي فقط ، فلكل اقرب الى التصور والادراك ، انما نغني ما هو اوسع من ذلك واشمل . وهو ما يمكن أن يكون الصق بالمجال الانساني والعالمي . فوصول المجلة الى اصقاع عديدة وبعيدة ، والى مراكز البحوث والاستعراب في مختلف القارات جعل منها نقطة اتصال مع تلك المجالات ، وقوة اشعاع للانتاج القصصي - وبالذات التونسي - ما مكن ذلك الانتاج من الانتشار والانتقال الى لغات مختلفة من شعوب العالم . ولا نرى غضاظة في القول : ان بواكير الانتاج القصصي المنقلة الى العديد من اللغات كان عن طريق مجلة قصص ، واصدارات اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، وعدد من لغات الجمهوريات الاشتراكية يؤكد ذلك القول ويصححه مما لا مجال الى بسطه في هذا التصدير .

ويتماشى ذلك مع الغايات النبيلة التي ملازمت مجلة قصص ساعية الى تحقيقها فعرفت بالقصة التونسية ، وبينت ملامحها واتجاهاتها ، وكشفت عن خصوصياتها رابطة بينها وبين الانتاج الادبي في مناخه العربي وحتى العالمي . وهكذا تمثل مجلة قصص جسرا وطيدا تمر عليه أجيال وأجيال ، وصفحة

مضيئة يقرأ عليها تاريخ الفكر الانساني في حركته الدائبة بين مد التاثير وجزر  
التاثر تلك الحركة المثيرة لكل انتاج ثقافى وحضارى .

وواضح ان صمود هذه المجلة وتحديدها لما يعترض طريقها من عراقيل يعود  
اساسا الى عزيمة اعضاء نادى القصة (النادى الثقافى ابو القاسم الشايبى) فى  
رعايتها بالبدل والعطاء المتواصلين ، كما يرجع ذلك الى كل قرائها والمساهمين  
بآرائهم البناة فى تنشيطها والسير بها قلما الى الهدف الذى انشئت من أجله .  
وعند الصباح يحمد القوم السرى .

وواضح ايضا ان جلوة ذلك الصمود ما كان لها ان تتواصل متقدمة لولا الحماس  
المتقد فى اعضاء هذا النادى . وبذلك أمكن التغلب على مختلف العقبات والظروف  
خاصة تصاعد ارتفاع التكاليف مما لا يتلاقى ابدا مع سعر المجلة حتى لكانها  
مدعومة بالكامل . ولكن واقع الامر ان دعمها الوحيد يتمثل فى ذلك الصمود  
وتلك التضحية التى تتجاوز منطق التجارة الى سمو الرسالة ذات المبدأ  
والهدف .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قصص

## خروف الجنة

فى العشية ، عندما عاد الطفل من المدرسة ، قالت له أمه مبشرة مبتسمة :

- اشترى لك أبوك خروف العيد كما تريده تماما ، وهو فى الحديقة !!

خلع الصبي محفظته من فوق ظهره بعجلة ونزل المدرج مسرعا ... أجال بصره فى أرجاء الحديقة فشاهد على بعد كبشا عائلا تحت شجرة العنب ، مرفوع الرأس ينظر فى صمت الى أشجار الحديقة ... اتجه اليه بسرعة ، واقترب منه بدون خوف ، وربت على ظهره وقرنيه بشيعة وبدون تردد ، فانطاع الخروف ولم يحرك رأسه مدافعا ، ولم يجفل ولم يحاول الفرار أو حتى الابتعاد ...

جعل الطفل ينظر الى الكبش ويتفرس فيه باعجاب ... وفرح فرحا شديدا : طلب من أبيه أن يشتري له هذه السنة كبشا لا كسائر الكباش بل كبشا عظيما جميلا له قرنان طويلان ملتويان ، قلبى له أبوه رغبته فى هذا اليوم السعيد ، والكبش منتصب أمامه معقوف القرنين ، أسود الرأس أبيض الصوف بدينا ...

وكل عشية حالما يعود الصبي من المدرسة - وصار يعود منها بسرعة عجيبة ، فلا يلعب مع أصدقائه خارج المدرسة ، ولا يتجول معهم فى الانهج القريبة والبعيدة - يتجه الى كبشه «حشوش» ويحادثه ويقدم له قطعة أو قطعتين من السكر فى يده فيأكلها الحروف بتلذذ وشهية ، ويمرر لسانه على كف الطفل مرارا ، فيفرح الصبي لذلك وينشرح ... ثم يحل له وثاقه وهو ما زال يحادثه ويخرج به أمام المنزل ...

... وصار الصبي هو الذى يغير له القرط كلما قدم ، أو تلوث وهو الذى يقدم له الماء ، اذا شعر أو ظن أنه عطش ... ويمد يده أحيانا الى شجرة العنب ، ويقطع عنقودا اصفر اللون تتخلله بعض حبات زبيب ، ويقدم له العنب حبة حبة فيحرك « حشوش » رأسه عند كل حبة يلتقطها ، ويضحك الصبي لذلك ويهتز فرحا ...

لم تمض أيام قلائل حتى صار الحروف صديق الطفل تماما ، يشغو كلما شاهده على بعد ، ويشتد ثغاؤه ويزداد نداؤه كلما شاهده متنقلا فى أرجاء الحديقة مع أبيه أو عمه ... ولا يكف ثغاؤه ، ولا ينتهي إلا عندما يقبل عليه الصبي ، ويربت على ظهره ، ويخاطبه مداعبا ، ويمسح على قرنيه أو يقدم له قطعة أو قطعتين من السكر أو حبات من عنب ...

... زين له الصبي قرنيه ( بالطعمه ) وزين له ظهره بشرائط زرقاء وحمراء وبيضاء ووردية حتى صار خروفه « حشوش » يعرف على بعد فى الحى كله من بين عشرات الكباش بالقوانه هذه الزاهية وقرونه الطويلة الملتوية ، ورأسه الاسود المرتفع ...

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

ويناديه الصبي الصغير أحيانا من بين الكباش :

— حشوش !! حشوش !!

فيقبل عليه مسرعا ، ويتبع خطاه ، وتتبع الاكباش الاخرى خطى حشوش ... ويقوم الصبي مع أصدقائه وكل الحرفان بجولة طويلة فى الضواحي ...

★ ★ ★

... مرت الايام الجميلة بسرعة ، وتمر الايام الجميلة دائما بسرعة ... وأقبل يوم عبد الاضحى ولا بد له أن يقبل ، وأتى سى الحاج جد الصبي لاه صباحا من منزله المجاور ، ودق جرس الباب معاننا قدومه ، ثم دفع الباب ودخل الى الحديقة متحرما « بفوطه » وآثار طش الدم عليها ، عند ركبتيه ، وفى يده مشحد وسكاكين ...



رحبت جدة الصبي لأبيه بالشيخ ، ورحبت به ابنته ، وقبلته ، ورحب به الجميع ، والتفوا حوله وتمنوا له عيداً مباركاً سعيداً وعمراً مديداً وقبلوه... بقي الطفل بعيداً في قاع الحديقة ينظر ولا يتحرك ولا يقترب من جده ولا يقبله ...

أحضرت الجدة قهوة لسي الحاج ، وجلس بجانبها وبقيا يتحدثان زمناً ، والجد يستريح من أتعاب يوم العيد ... لقد ذبح خمس كباش هذا الصباح... فك أبو الطفل وعمه رباط « حشوش » من تحت شجرة العنب ... والطفل ينظر من بعيد بحزن كبير ولا يتحرك ، ولا يخاطب أحداً ولا أحد يخاطبه... إنه في الحقيقة يعرف أن اليوم يوم عيد ، وأبوه اشترى الكبش ليذبح يوم العيد ...

أخيراً قام الجد وتناول سكاكينه ، واتجه إلى الكبش وهو يتغو موثوق السيقان تحت شجرة الليمون ، ووضع السكاكين جانباً بعدما اقتنى منها أطول سكين ، وجعل ينظر إليها ويعمل النظر ويتفحصها ملياً ويمررها ببطء وحدد على ظفره مrazاً... ثم مدّها إلى صهره ، وطلب منه أن يقرأ آيات من القرآن الكريم ، والسكين في يده وكأنه يقرأ القرآن عند رأس الكبش يجمع... والطفل لم يفارق مكانه بعيداً وحيداً ، ينظر إلى المشهد بحزن لا حد له ... ثم تناول الجد السكين من يد صهره وشرع يقرأ بدوره بينما كانت ابنته تملأ أواني كبيرة ماء من بئر الحديقة ...

★ ★ ★

في العشية ، وعشايا عيد الاضحى غريبة كثيفة ، لزم الطفل غرفته ، يكاد يموت حزناً ، ينظر من النافذة تحت شجرة العنب ويبكى ... وينظر تحت شجرة الليمون ويبكى بكاء شديداً ... ثم أخذه النعاس ونام في فراشه جائعاً ، لم يبق له شواء ولا قلاية يوم العيد ، يرفع رأسه ويضربه على الأرض بشدة من حدة السكين ويحرك سيقانه الموثوقة ويرفعها دفعة واحدة ويهتز بكامل جسده وينتفض ... ثم ... ثم راودته أحلام ... أحلام جميلة ... وانساق في عالم جميل .. عالم الاحلام .. أحلام الطفولة ..

★ ★ ★

فى آخر العشية وعند المغرب ، ومغرب يوم العيد ثقيل رعيب محزن ،  
اقبلت عليه جدته وفتحت عليه غرفته وايقظته قائلة :

– قم يا عزيزي ! استيقظ ! نمت العشية كلها وما الليل آقبل !!

فتح الطفل الصغير عينيه على صوت جدته ، فعاد اليه فى لمح البصر  
مشهد السكين فى يد جده ومشهد خروفه « حشحوش » ، فاهتز لما ، وأحس  
كان السكين وخز قلبه الصغير وأدماه ، وقال لجدته :

– ذبحوا كبشي يا جدتي !! رأيت دماء تسيل يا جدتي وانطلق ييكي  
وانهمرت دموعه بشدة وارتمى على صدرها فتقبلته بين ذراعيها بكل ما لديها  
من عطف وحنان قائلة :

– لا ، لا تبك هكذا ، لا تحزن هكذا يا عزيزي ، ان الله سبحانه هو الذى  
قدر له ذلك .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فتابع الطفل باكيا :

– شاهدته ، شاهدته بعيني يرفع رأسه المسكين ويضربه على الارض  
من شدة الألم ، شاهدته ، شاهدته ينتفض ويرتعش ، لم ذبحوه ! لم  
ذبحوه ! لو بقي معي ، لو بقي معي !! واشتروا كبشا آخر ، لو بقي  
معي !! تلعب كل عشية ، انه صار صديقي ، وأخاطبه وأحادثه فيفهمنى ،  
إنى أحبه أحبه كثيرا يا جدتي وازداد بكأؤه ...

أجابته جدته بصوت مرتفع :

– اسمع يا بني ، ربي قدر له ذلك ، ربي خافه خروفا ، وازداد صوتها  
ارتفاعا وسرعة ، أتعرف أنه الآن فى الجنة ، يمرح ويجري فى الجنة وأنت  
تبكي هكذا حزينا وهو سعيد فى الجنة !! أتعرف أن العلوش الصغير عندما  
تلده أمه تمسح على رأسه وهو يصيح ويثغو ، وتهمس له قائلة داعية ربا :  
( جعلك الله خروف عيد ، جعلك الله أضحية عيد ) ( لأنها تعرف أنه يذهب  
بعد ذلك الى الجنة ... )

كف الصبي عن البكاء وانصت الى حديث جدته باهتمام بالغ ... بقي  
زمننا ساكتا صامتا ثم سالها بصوت خافت مبهوح مملوء دموعا :

- الجنة التي تجري من تحتها الانهار !!

فاجابته قائلة بسرعة :

- نعم ، نعم الجنة كما قرأت في القرآن الكريم - تجري من تحتها الانهار -  
جميلة شاسعة كثيرة الاشجار !!

سكت الطفل لحظات ثم تابع :

- ويذهب اليها كل من يفعل الخير !!

- صحيح يا عزيزي ، يذهب اليها كل من يفعل الخير في هذه الدنيا ،  
وكل مؤمن بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ...

- والذين يفعلون الخير ويتجنبون فعل الشر ؟!

- نعم ، صحيح ، صحيح يا عزيزي ، الذين يفعلون الخير ويتجنبون فعل  
الشر ، والذين في قلوبهم الرافة والرحمة على بني الانسان .

وتابع الصبي قائلا :

- ونحن يا جدتي نذهب الى الجنة ؟!

- نعم ، نذهب الى الجنة إن شاء الله !!

- وأنا اذهب الى الجنة ؟!

فاجابته الجدة بحماس كبير :

- أنت أنت نذهب الى الجنة ، أنت أول من يذهب الى الجنة ، أنت  
عصفور جنة ، أنت عصفور صغير طاهر القلب بري ...

وتخيل ، وتخيل الصبي الصغير نفسه عصفورا ، عصفورا صغيرا ،  
جميل الالوان ، يرفرف بجناحيه الصغيرين ويحلق في السماء ...

بقي ، بقي زمنا طويلا ساكتا ، ينظر امامه الى لا شيء ...

ثم قال لجدته :

- أصير عصفور جنة حقا يا جدتي ؟؟!

- نعم ، نعم قلبك تقى ، أنت صغير طاهر ، بريء ، أنت عصفور جنة ، لا تعرف الشر ، تذهب الى الجنة بعد عمر طويل ، بعد عمر طويل إن شاء الله ، بعد أن تكبر وتصير رجلا كأييك ، وتعمل وتصير شيخا كجدك وجدتك ، وتحج وتزور بيت الله وتذهب الى الجنة ...

- وأشاهدنخروفي « حشحوش » فى الجنة ؟؟!

- وتشاهد خروفاك « حشحوش » فى الجنة .

وتابع الطفل :

- أجدّه كما كان ولم يتغير منه شيء .

- تجده كما كان بل أحسن مما كان وتلعب معه وتروح .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ابتسم الصبي فرحا ... وازداد ابتسامه ... وازداد فرحه ... واحمر وجهه وتألّق سرورا ... وتخيل ... تخيل نفسه طائرا من جديد ... طائرا صغيرا سريعا ... جميل الالوان ... رائعا وانطاسق ... يحلق فى سماء جميلة .. جميلة زرقاء .. وفوق سحب بيضاء .. ووردية وحمراء .. يحرك جناحيه الصغيرين بسرعة ، ويحلق فوق جبال مرتفعة بنفسجية ، وبيضاء ، وخضراء ، فوق صحار شاسعة ، واسعة صفراء ، وبحار تلو بحار ممتدة زرقاء ، داكنة ، وفى لون الورد وبيضاء ... يرفرف بجناحيه ويحلق فوق وديان وأنهاش وسهول ... يحرك جناحيه فرحا مغنيا باحثا ... باحثا عن خروفيه الجميل بين خمائل ، وزهور ، وجنات نخل ، وزيتون ، ورمان ومرام ممتدة خضراء ... ثم ، ثم يشاهده ... يشاهده على بعد فى غابة ... فى غابة غني ، واسعة شاسعة تشللا ... ويفرح ، ويفرح فرحا شديدا ... ويتجه اليه ، ويقترب منه ، ويناديه :

- حشحوش !! حشحوش !!؟

يرفع الحروف رأسه ، ويشاهده بدوره فيهتز ويناديه ويشغو ويشند  
تفاؤه ... يفرح الطائر الصغير فرحا لا حد له ... وينزل على ظهر خروفه  
« حشحوش » ويقفز الى رأسه الاسود ويغني له فرحا ، وينتصب على أحد  
قرنيه الطويلين المتويين وهو يشدو ... ويحادثه في أذنه ويناجيه ، ويحلق  
في الهواء ويغني ... ويرتفع أكثر وأكثر في السماء ، وخروفه الجميل ينظر  
اليه مبتهجا ... ويتبع تنقلاته ويناديه ويشغو فرحا ... ويتناول العصفور من  
أشجار العنب من عناقيد الجنة ، عنقودا يتدلى كثيرا من ذهب ، ويضع في  
فم خروفه حبات العنب ، الحبة بعد الحبة ... الخروف يحرك رأسه عند  
التقام الحبات فرحا مبتهجا ... ويحادثه العصفور الصغير ويغني له ويرفرف  
حواله ...

ويتجول الحروف في الجنة سعيدا...وصديقه منتصب فوق قرنيه يغني...  
يسيل رأسه وينظر الى السماء ويغني ... سعيدا ...

محمود بلعيد

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

## اللقيط

كان يظن أنه يسير بايقاع ، وكأنه وحده الذي يقدر على المشي .. يضرب الأرض فعل حذائه . وحين يرتطم بها يحدث خشخشة وضجيجا ، فهو يحاول الانفلات من قدميه ، فكانما كان يمشي والناس من خلفه يصفقون .

تسمر الحذاء في الأرض . وعدأ الشارع من هرطقة ذلك الحذاء .

وقف راكبه متسائلا يتسمع ، والمؤذن يرتفع صوته من أعلى الصومعة .

« .. الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمدا رسول الله .

يا أهل البلاد .. يا أصحاب الخير !! »

وتسأل الرجل صاحب الحذاء :

« .. أي صلاة هذه ؟ وأي نداء ؟ ما دخل أصحاب الخير هنا .

لعلهم حوروا أوقات الصلاة ! من يدري ؟ لا . الأقرب أن هذا الداعي مجنون . فليقل ما يشاء . »

وتنادى الصوت :

« يا من رأى معزة صفراء ، في جيدها خيط أحمر ينتهي بتميمة ، محفوظة في جلد خضراء . من عثر عليها حية أو ميتة فليخبر شيخ الحارة وله الأجر والثواب . وله غير ذلك . فتسابقوا لعلكم تغلحون !! »

« يا للعنز الصفراء » قالها الرجل وتحرك والحذاء يضرب الأرض ويصدر ضجيجا . وواصل متمتما :

العنز الصفراء .. وشيخ الحارة .. لو عم النداء كل صوامع الدنيا لما عثر عليها . وما أظن هذا الا تحريضا للفتك بها .

وتسأل :

« لماذا يسخر شيخ الحارة منارة الجامع لأغراضه » .

وتذكر انه اضاع شيئا . فلماذا لا يعتلى الصومعة . . ويجهر بالبحث حتى وان كان الشيء الذى أضاعه يخجل الانسان من البوح باسمه . وراوده التحدى نعم يجب أن يعتلى الصومعة ثم ماذا ؟ ليحدث المحضور . . وحتى المكروه . فما معزة شيخ الحارة بأغلى مما فقدت .

هل تعرفون من أنا ؟ وهل أستحق أن أقدم شخصى . لا ادعى أنني أعرف المعارف . فحتى الله هناك من لا يعرفه .

ولو سألت عني فلن تجدني البتة . لسوف يعدمون بك شخصية أخرى بدلا عني فتكون مشوهة أنا براء منها . سوف يجمعون كل نقائصهم وحقائلهم ما اكتسبوا من قذارة ويكدسونها فوق اسمي حتى تنقل على كل حرف يتركب منه .

اسأل عن « الطرايون » وهنئ تورم احتضنته <http://www.ArchivesSakia.com> وسئلته اللسن . عبد الي وستجدني كما أنا . وأقسم أن لا أحد يقدر على الاختفاء وراء ظله . ولكننا نخاف من أنفسنا في أوقات اليأس .

« الطرايون » أو خمار . كما كان يدعى . اختار منذ البداية أن يكون محايدا فقد عن له أن يبرز للحياة من على ظهر قطار .

فاجأ المخاض أمه وهي عائدة من إحدى رحلاتها التعذيبية ، فقد كانت تتاجر وليس لها رأس مال الا ما ورثته عن حواء .

ولم يكن في القطار غيرها من النسوة . ويقال ايضا : إن القطار توقف للمرة الاولى احتفاء بالحدث السعيد .

احتضنه الاهمال من أول وهلة فاذا اسمه مهمل ونسبه مجهول ومكان الولادة غير محدد ، فلا غرابة أن تجعل منه الايام شيئا غير مألوف . فاذا هو يتباهى بالشر وينتسب اليه باعتزاز واذا هو مصيبة في كل مكان . وأضيف اليه اكثر

مما اكتسب حتى أصبح كل اهل الحارة ابرياء . وهو الاثم الوحيد . هو يتحدث عن الفعل وغيره ينفذ . وكل شيء محسوب عليه . منبوذ . لا ينتسب للشرف وحين يصل به التفكير الانى لم اقل فى حياتى كلمة أبى . ويا ليتكم عرفتم ازلي من بينكم أبناء وأنهم ليتمتعون بالاحترام ، يدلهم من يظنون أنهم من أصلا بهم الا لعنة الله على من اكرههم . و « تف » عليهم لو وصلت يدى اليكم لاذقتكم مر العذاب ، اسحقكم كعقب السيجارة . وأنتم يا من تتظاهرون لى بالاعجاب وتهمسون فى اذنى . لأنكم تستعملون فى للتنفيس عما عجزتم عليه من فاحش القول فى حق من لا تقدرين على الوقوف فى مواجهتهم ، انتم كجمهور كرة القدم تصفقون للريح وتغضبون للخسارة . اننى اعتبركم هواة حتى الخنافس تجد لها هواة .

وقد ألف « الطرايون » السجن حتى أصبح يدخله متى شاء ويخرج منه بإرادته . وشيخ الحارة يفتح عينه مرة ويغضها مرات . فى شأن « الطرايون » فلا يتحمس للسماع .

وهذا « الطرايون » يضرب الارض تلعلة متحمدا . وشيخ الحارة يغطيه بنظراته وان كان الحديث فى غير صالحه . أرض الحارة تعرفت على هذا الحذاء من يوم عاد خمار من الواجهة الحربية سليما مثلما دفعوه اليها . وانه ليزعج الارض ببقية هذا الحذاء الذى ركبه زمن الحرب ، وواكبه يوم كان أسيرا جاب به كل أنحاء الجبهة .

يتوقف خمار أمام باب المسجد فى طريقه الى المنارة بعد أن قرر أن يرفع صوته بالنداء للبحث عن غرض ضاع منه . لم يجر على اقتحام باب المسجد . فما دخله مرة فى حياته . وتملكته رهبة لم يسبق لها ان خالطته حتى فى المواقف الاشد حرجا .

وقال فى نفسه :

« .. هذا مكان لا يمكن الا لشيخ الحارة أن يطأه منتعلا أما أنا فحتى لو كنت لا أعرف صاحبه الا من خلال حديثها امى . فهل اداهم بيته بنعل تلتطخ بالدماء واحتفظ برائحة الجيف فهى تفوح ، منه كلما اشتدت الهجيرة . لتذهب كل اشيائى غير مأسوف عليها . اذا كانت تكلفنى اقتحام بيت رب جبار



حتى لو كان رحيما بهذا حدثتني امي التي يزعمون انها خالفت وصايا الرب .  
قال ذلك وانتكس راجعا .

وانت تنظر الى بوز حذائك فيجرك منظره الى بحار من الدماء . وانت  
تخوضها مرتجفا والخوف يركبك فلا تبحث لك إلا عن مأوى يقيك طائش  
الرصاص الذي يلعلع هنا وهناك تطلقه البنادق بايد مرتعشة لتفادي الرصاص  
بمثله والدوى بالدوى . وتراى لك ان كل من بيده بندقية انما هو عدو لك  
يروم قتلك . وأصحابك يكون ذل الاسر بصمت او ليس مقهورا من القى  
سلاحه فاستسلم لعدوه وانت ترفع يديك الى الاعلى وقد تخليت عن سلاحك .  
وقنعت بالحياة فقط حتى لو نزعوا منها نور النهار فأضحت ليلا عقيما ، وما  
إنك اختزنت الذل ليصير الآن آكوما من الوقاحة تخفى وراءها وجهك لتمسح  
عنه آثار الصفع . وقلت تستأذن نفسك :

أرجوك ايها الطاغية اقبى حيث انت . وان لم تفعل فاني سوف أعيد حكاية  
الماضى برمته . لقد أقسمت على مصيبتك فلا تدفعني بى الى طرق اكون مجنونا  
لو لا مستها قدمي .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وكانت الطريق تتفنج تحت وقع حذائه الفض تنبسط تارة ، وتلتوى أخرى  
تعلو مرة ، وتنخفض أحيانا .

و « الطرايون » ينحنى على نفسه ويستقيم فى سيره يراوح الطريق . وعلى  
الرغم من أن افكاره انفلتت منه فهو يحاول الامساك بها فيكف عن السير .

— مراؤون — قال يحدث نفسه . . اذا جعت شمتوا . يوصون فى كل  
مصيبة . كأنما كتب على « صنع فى اسرائيل » .

الطرايون يمشى وشىء يتدحرج خلفه .

— لقد علق بك شىء ما هناك يا طرايون . التفت خلفك

قال رجل ينبيهه ، ورد الطرايون :

— او ما ترى ؟ انه قرص رغيف .

— ولماذا تفعل به هكذا ؟ تمتهن الرغيف !

– دعه يجرى ورائى مرة على الاقل • فلقد ظلمت العمر اركض خلفه • وماذا  
يهمك اولي امره أنت • اركض أمامى والا ربطتك اليه لتتعلم أن حديثنا مثل  
هذا لا يكون الا همسا •

وهمس الرجل فى أذنه :

– لقد كنت اراقبك وانت تتردد فى الدخول الى المسجد

– اسكت قال – الطرايون – وهل ذاك أمر يحرّج • فكلكم تترددون المرات  
العديدة • وما دريت ماذا تفعلون • واقف أنا على بابه فاكون مراقبا •

وقال الرجل :

– وهل غير عبادة الله تكون هناك ؟

ورد الطرايون :

– كلكم تدعون أنكم تذهبون لعبادة الله • ولكن فى الطريق الى هناك تتلقفكم  
الشياطين فتتبناكم • لقد قلت لك : اركض أمامى فإذا أنت تستدرجنى  
لحديث ثنائى • ومن عادتى أن لا أتحدث الا للجماعات اذهب فابحث لك عن  
خازوق تقطع به وقتك وتنتهى به عن سلوكك السيئ الذى حائرا • وحتى  
لو وجد له ألف جواب • اذا ما سألت عن الطرايون • فكل واحد يعرفنى من  
وجهة نظره ومن موقعه حيث هو • انا لا اكذب احدا كذلك لست بقادر على  
التصديق • ولكن قادر ومن حقى أن أدافع عن نفسى فأرسم صورتى كما اشاء  
أنا • فمن صور نفسه وبارادته فلا عذر له او ترك الاخطاء •

فانا ادعى خمار لا «الطرايون» كما يدعون • وانا طبعاً من سلالة آدم •  
حتى لو كان المنتب من سقاح • يتولون : إنى ولدت على ظهر قطار • ولكن  
لا عيب فغبرى ولد على ظهر حمار • واذا كان اسمى اصاع طريقه الى دفاتر  
الحالة المدنية فانى لم اطلب من أحد شهادة تثبت وجودى طالما أنا اكل فانا  
موجود • لا أدري كيف كبرت • وما شعرت بطول المسافة التى قطعت والزمن  
الذى قضيته فى الاثناء • ويظهر اننى خلقت خلوا من كل احساس •

وما نفع رجل كهذا – قال الناس – ليذهبوا به الى الحريق • فما بقاؤه بيننا  
الا كبقاء المحرمات نهيبها فنقع فيها • لقيط • ابن زنى • بقاؤه يذكرنا بكل

سيئاتنا • وخلت الحارة من خمار • وغاب فعلا • ترك فراغا وسكت الحي بعد  
ان كان يلهج بالحديث •

كان خمار الحاجز الذى يتقاذف أهل الحي من خلاله بكل قبائحهم • كان هو  
الحائط الذى يلصقون صور ما بهم •

وكان خمار هدف الرماية الذى عليه يتطاربون •

وشيخ الحارة الذى كانت نظراته تغطي خمارا • هو الذى بعث به الى أتون  
الحرب عوضا عن أحد أقاربه •

فهل قدر أحد أن يلوم شيخ الحارة الذى ما ان سمع الهمس باسم خمار  
حتى أرعد •

— لقد كانت تلك رغبتكم • طبيعة فيكم • تشتكون من الاذى فاذا أزيل  
عنكم بكيتموه • لقد كان صاعقة هذا الخمار • ولانه لقيط فقد أشاع بينكم ما  
يخجل الانسان عن البوح به • انتم تمضغونه سرا وهو يقضمكم فى الجهر •  
ماذا فعلتم بعدها بانتسابكم • لقد حملته أمه عن طواعية واختارت له الاب  
فهل كان لامهاتكم حرية الاختيار فى الانجاب •  
<http://ArchiVebelasek.ru/ArchiVebelasek.ru/>

ورفع الطرايون رأسه ونظره تعلق بالصومعة وقال :

— يا لعزاة شيخ الحارة • ترى ما الذى جعلها تهجره ، لعل علاقة ربطتها  
هناك • أو أعلها انفصمت بينهما العلاقة — ترى هل اعطى المؤذن أجرته • أو  
أم أنه سخره • سوف اكتشف ذلك بنفسى اذا استمرت بى الحياة •

وقبل ذلك سأجعل الجميع يكتشفون عالما جديدا • وأخرج عضوه  
ليستشير • وانه يخاطبه بلغة وقحة • ويشرع فى اطرافه وأخيرا  
يتغنى به •

دلتك يا سرى • • — وأنت الرابع وأنا الخامس •

ويتوجه نحو حائط الجامع يتبول هناك • والناس ينظرون ويجيبهم دون  
أن يسأل :

— الطرايون سكران يبول فى كل مكان •

وما قدرُوا على صدِّه أو ردِّه ، و حتى نهيه • غير امرأة كانت تعبر الشارع  
فقالَت دون أن تتوقف :

– اللعنة ! أما فيكم من يردع هذا الحيوان • ألم تبق ذرة من حياء ؟ هل  
اندثرت كل القيم ؟

ورد الطرايون ضاحكا :

– ليقدرُوا على ردع انفسهم ، ما القيم يا ... فأنا أحدثك عنها • لقد  
جمعتها أُمي يوم ولدت ووضعتها في علبة وجعلتني أبول عليها • ولكن رفقا  
بك ها انا اتحول الى مكان غيره لاتم ما بدأته هنا • بالكلمات المنقوصة  
تدافعون عن أماكنكم المقدسة • الطرايون أيضا مقدس فلماذا لم يدافع عنه  
أحد • ومعزة شيخ الحارة ما لها ضلت !

ومال شيخ الحارة يبحث عنها من أعلى الصومعة هناك صلاة أخرى تدعى  
صلاة الانعام حتى يسخر الاصوات للمنداء ؟ أنا أقول انه يبحث عن التميمة  
التي تتدلى من عنقها • فقولوا أنتم : انه يبحث عن الحيوان •

من منكم دافع بكلمة في حق حيوان أراد أن يتصرف بحرية • ولعل اسبابا  
خفية دفعته الى الثورة • هل بحثتم عن تلك الاسباب • ولأنكم لم تتصرفوا  
يوما بارادتكم فأنتم تحسدون من يحاول ذلك حتى الحيوان •

والتف الناس حوله وتكاثروا • قال رجل منهم يشبطه :

– ها • بعد ان نقتل الانسان في ساحة الحرب يسهل علينا الدفاع عن  
حيوان • اليس كذلك يا طرايون !

وقال الطرايون :

– لو كان غيرك لما أجبتك بغير الصفع • ولأنك رجل خال قلبك من الحق  
فأنا أجيبك • صحيح أنني خضت حربا قدرة • وصحيح أنني حملت بندقية  
واطلقت الرصاص • ولكن أسألك هل ذهبت من تلقاء نفسي ؟

اسأل شيخ الحارة • واسأل الدنيا كلها فلن تجد اثباتا أنني قتلت  
انسانا • لقد كنت أتعبد اطلاق النار في الغضا، نحو أشباح تشبه هؤلاء  
تماما أعني تشبهكم أنتم بالذات •

المرّة الوحيدة التي أطلقت فيها الرصاص - كان الهدف آدميا - كانت زمن السلام . لقد عينت مع ثلّة من الجنود لتنفيذ حكم الاعدام في مواطن قيل : انه خائن . وقبلها بثلاثة أيام - يا اخوتي - أحسست بأنني أنحني نحو الهاوية فقلبي لم يكف عن الحفان السريع . فكأنه يركض خلفي . تغير طعم الحياة في فمي وفي نظري أصبح الاكل عملا شاقا . كنت أحس بالذنب ولا أعرف اني اقترفته . وتيقنت أنني مقبل على الجنون . أو أن الموت يقترب مني . اختلطت أحلامي باليقظة ، وما قدرت على التمييز بين هذه وتلك . أسائل نفسي - وأنا أقرب الى الشك مني الى اليقين قائلا :

متى وقع ذلك ؟ لا أدري . ولكن شعورا يقودني ويلصق بى الاجرام وفي النهاية أكون قاتلا . قتلنا الشيوخ والصبيان . الشبان والشابات الكهول النساء . قتلنا كل الناس . قتلنا الرضع . وأنا أصبح في أعماقي : اننى برى . أسألو أرواح من ماتوا في ساحة الحرب . هل تعدت قتل احدهم لقد كنت أثبتت من الرصاص حتى يطيش في الفضاء . لقد دسنا الاموات بنعل حذائى هذا المشؤوم ولكن الخوف من الموت يدفعنى . ولكننى اعتذرت لهم . ووفيتهم حقهم بالتحية العسكرية . أو لبسوا جنودا مثلي وفيهم من يحمل أرفع الرتب العسكرية . ولكنكم يا اخوتي لا تعرفون بقية الرحلة المتعبة . فنحن الاسرى غبطنا الاموات . هل تعرفون حيا يحسد ميتا . فقد كنا تقتل على مهل وفي كل اطرافنا يبعثون بقطرات العذاب الاليم . وهل عرفت في حياتك انسانا لا يقدر أن يقول كلمة لا . كل الاوامر - مهما كان لون العسف فيها - ليس لك الا ان تتقبلها بتحية عسكرية متحمسة . والا تكون هوية ، ولا ارادة فانت حيوان رقمك فى الذيل .

فالحمد لله ، أيها الاخوة ان كنتم تقبلون ان أكون أخا بنص الكلمة فقط . لله الحمد ان ابعد عنا شبح تلكم الحروب . فالانسان لم يعد آلة حرب ولكنه أصبح فتيلة فقط . وكفتنا الاسلحة النووية تقتيل بعضنا . فالموت بالجملة لا يترك اخطاء . لقد شغلتنى هذه الحروب عن نفسي . ونسيت أن أقول لكم : اننى فقدت شيئا ما . شئ يخلجكم البوح به أو اضعتموه . أكون كاذبا مع نفسي لو قلت : انه شرفي . فأنتم تؤمنون ان لا شرف للقطاء . وأنكم وحدكم خلقتكم من تراب . وعزائى اننى لست الوحيد الذى ضاع منه بعضه فشيخ الحارة ضاعت منه المعزاة ولكن نفوذ جعله يهزم العادة فيأمر بالبحث عنها من أعلى منارة في

الحي • وفيكم من أضاع نفسه فهو يخجل من البحث عنها جهارا • وفيكم من يعتزم فلا يقدر • لانكم لم تتدربوا على التحدى • اذن فانتظروا • لسوف اعلى الصومعة وأرفع صوتي معلنا • وقولوا لشيخ الحارة ان يضيع كل تيوسه ان شاء فلن يجد مكانا هناك يصدر فيه النداء • ولن يجد من يفكر بالبحث عنها واجتمع أهل الحارة • والانظار معلقة بالمنارة ينتظرون • والطرايون يعتلى المدارج ببطء وقد صمم على التخلي عن كل عقده التي قصرت قامته ونفسه تحدثه : وماذا عساهم يقولون • انت تعرف كل كلمة يهيمسون بها • وقد ألفت الحوار بيني وبينك وكثيرا ما رددنا هذا الكلام • فقل كلمة ومث كلبا ان شئت •

ومن اعلى الصومعة أطل خمار - أو الطرايون • الذى تحصل على هذا اللقب بعد ان ذاق فى الحصول عليه أمر الهوان - فمعنى هذه الكلمة • انه من جند الرماة أطل برأسه من الاعلى وسأل الجميع :

- هل تسمعون الان؟

وعمت الفوضى : كيف نسمح لهذا الزنى أن يندس اماكن الطهر •

- اصعدوا حالا واومؤا به من هناك <http://Archive.org>

- هل تسمعون - قال الطرايون - تخلوا عن الفوضى لحظة فى حياتكم •

فلن القي عليكم خطبة • فما أنا بهاد ولا مضل •

وصاح أحدهم :

- قل يا خمار • اسرع وأوجز يا طرايور • تكلم مرة من الاعلى على الاقل •

انصبوا له حتى نتفرق فما فى اجتماعنا غير مضیعة للوقت •

وقال آخر : تحدث عن نفسك فقط يا طرايون •

- لقد قلت انى اضعمت شيئا ما • والحق أقول : انى فقدت رجولتى •

فاشهدوا أنني فقدتها كما فقدت نسبي وهويتي • من رآها منكم فليرجعها •

بحجر • ولا تنسوا أن تعزوا شيخ الحارة فحزنه على معزاته يكسر حزني •

باضعاف •

نفطة فى 1988/1/21

## عمارة الكلم

... ويتجسد أمامك الكلم « عمارة » شامخة ، تتزاحم في جوفها الفقر ،  
والجمل ، والكلمات ، والحروف !

« العمارة » خط عمودى مبتور على المستويين العلوى والسفلى أو هكذا  
خيل إليك !

« العمارة » مبنى مستطيل ، أو مربع ، أو مثلث ، أو مائل حسب الأهواء  
« المنمطة » للمهندس المعماري الذي قننها حسب قواعد الفن ..

أنت ضمير ظاهر حشرت في عمارة الكلم ..

أنت ضمير معلق رصفوك في تناسق عضوي مع مجموعات من الضمائر  
المستترة أو الحفية ، الظاهرة أو الباززة .  
<http://Archivebeta.Sakhrn.com>

قالوا : « فعل ابتلع في جوفه ضمير متعدد تقديره » هم « .. أنت داخل  
وخارج نعم » .

هم قالوا : « يا أنت لا تتذمر ، فازمة السكن تسير في طريق الانفراج ،  
دونك هذه « فقرتك » ، وقد تفرعت في داخليا عن عدد من الجمل .. ابحت  
لك عن مكان بينها .. صنع عالمك ، وكن على مقاس طموحك ، كلمة مجنحة ،  
أو حرفا راقصا ، أو تركيبا جزئيا متجانسا .

أنت ضمير هارب ، تعودت أن تلوذ « بفقرتك » وقد استبد بك شوق  
الالتحام بمداك العلوى ، فتستحث مسيرتك اللولبية عبر المدارج ، ولكن قد  
يفنيك عنها مصعد ان وجد ، وان لم يكن معطبا .. آنذاك يحصل الارتقاء  
بصورة مباشرة .

وعندما تغلق باب فقرتك تعتقد أنك اكتشفت محلك من الاعراب ، وتخلع  
قناع « أنت » ، وتفتتح برعما حسب نصيبك من فضاء الجملة ، مع اعتبار

علاقة « الفصل » و « الوصل » التي تربطك بالجميل المجاورة .. وتكون أو لا تكون ، مسندا .. أو مسندا اليه ، أو تابعا .

لقد فكر المهندس المعماري في ضيقك المحتمل ، فجهز لك النوافذ والشرف ، وعبرها تملطط « جملةك الفردية » أو المشتركة ..

ويسعك أن تتعدد أن تكون أكثر من « أنت » .. وأن تزود بحصتك اليومية من الاوكسجين ، والتلوث ، والصخب ، والفضول ، والرؤية .

ويتفق أسلوبك .. فقالوا : « أسلوبك هو أنت » .. خبر أو انشاء .. أنت تنتصب ضميرا خلاقا ، وأسلوبك متميز مميز .. مميز .. ممتاز ..

أسلوبك في أشياءك .. في طبيعتك .. في شكل جملةك .. في مظهر ففرتك .. في تشكيل شكل ضميرك ..

وعندما تنضح رائحة طعامك .. تتناثر الأنوف أسلوبك ..

وعندما يرتفع لغوك تذوق الأنوف أسلوبك ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وعندما يطل مظهر ضميرك تتسامع الأنوف أسلوبك ..

وعندما تتأرجح أشرطة غسيلك ، مثقلة بشيايك ، يندمج أسلوبك وسط أساليب الفقر المجاورة .. وتحرك ربح شرقية أو غربية أشرطة غسيلك ، وتشرق الألوان ، وتحدد المقاسات . وأمام الشرف تتعري كل الضمائر المستترة ، والمتسترة ، عارضة حتى أثوابها الداخلية ..

وتترعب الذوات ضمائر قابعة على نفس الهيئة فوق أشرطة الغسيل . الضمائر حرباء تلبس ألوانها وتتحول علامة استفهام أو تعجب .. أو نقاط بلا حروف ..

وتتخلص من ربة الذاكرة فلتفظك الحرباء طفلا ..

ها أنت قابع على حصير بال وسط ثلة من أقرانك أمام « سيدى المؤدب » .. وتحرك جذعك مثلهم في حركة آلية .. وتتناغم أصوات الضمائر الصغيرة .. وينمو الوجع في نخاع الجذوع الهشة ..



وينبجس الاطفال أبراجا من الاصوات المخنوقة ، تسعى لحفظ مبادئ  
الكلم :

« أليف لا شيء عليه .. والباء نقطة ملوطة .. والتاء اثنيينا من فوق ..  
والياء اثنيينا من اسفل .. وانشاء الله نحفظوهم الكل ! » وتتمازج الاجذاع  
والاصوات .. وأشرطة الغسيل .. تتجانس .. ويلوذ الطفل فزعا من ربة  
شريط الغسيل .. اللوح المستطيل يطادره .. تنحدر الحروف السوداء  
سربا من النمل يجذب الهارب من تلابيبه .. وتلتهم العيون الفزعة بسطور  
اللوح .. عصا « سيدي المؤدب » .. تتوعد .. ( أليف لا شيء عليه .. )

أنت بهلول يتمايل على شريط الغسيل .. أنت أليف لا شيء عليه ..  
أنت ضمير ضائع ، وأسلوبك لم يعد « أسلوبك » .. إنه « أسلوب  
العمارة » .



« أنت » ضمير غريب الاطوار ، فقد عن لك بقية أن تهرع في حركة  
تنازلية الى المدى الأرضي .. لقد خامرك نزوة كشف الاسلوب الخارجي  
للعماره .  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يا لك من مغفل .. ألم تكتشف بعد الاسلوب الخارجي للعمارة ؟ هذا أنت  
الذي قضيت بها شطرا من عمرك ؟

واجهة .. ومدخل .. ومدارج « العمارة » الحديثة تتماثل ، وهي لا تجلب  
الا انتباه « أنت » الزائر .. فهي استعارات من قاموس الازهار والرياحين أو  
استعادة لاسماء العظماء والصالحين .. وقد يدغدغ أنفك الورد والياسمين ..  
أو تأخذك سنة تأمل .. فتقف اجلالا « لصالح الدين الايوبي » أو « خير  
الدين » .. هذا اذا لم تفتيك بركة « لأمنوبية » أو « أم الزين » !

وقد يتبدد الخيال ، فتتعثر أقدامك بين الارقام والحروف اللاتينية ، فترطن  
بها جاهلا لمحلها من الاسلوب هذا الخبر حكته لك عيون « عمارة الكلم » .

وتتمدد الرؤيا ، فيترزين لك الاسلوب « إنشاء » .. وعبر الحروف  
والخربشات ، تحفر نظراتك الملائم ، فيتقشر ، ويتساقط كثوب خلق ..

ويتعري عظم الجدار .. وتتوضح علامات الهرم والشيخوخة التي تحفر في  
تواتر على ناصية العمارة .. وتصعد النظر ، وتمتد خيوط الطول شروخا  
دامية ، تحكي العناء ، تحكي الضجر ، وتنوء بالثقل كحمار يحمل أسفارا .

وتجف سرايين الاسلوب، وينضب معين الجمال في عمارة شيدتها الحاحات  
الضرورة ولم تساهم الفرحة في زرع حجارة واحدة في صرحها .. وتتلوى  
على عظم الجدار أنوف الحروف المملولة .. دودة تراب تهاوى عنها المكنن ..  
وتلفهما الشمس فتتكور حول نفسها ويتناثر صوتها المخنوق كالانين ...

وتردد مبتسنا راثيا .. « تعيسة أنت يا عمارة الكلم ! »

سأرتق فتق كلمك يا « عمارة الكلم » .. وتثن الحروف الدودية وتغيب  
هامها في حركة مذعورة في فجوات الجدار !



أنت ضمير قانط .. مالك ( الـ ) حزين ؟

دقق النظر في الاستلوب الداخلي للعمارة .. فهذه الجدران الفاصلة بين  
الفقر المتجاورة تؤكد بهشاشتها الرحمة والاوامر ، والعلاقات الحميمية ..  
ما أروع الفقر تتلامس تتربط في جوف « عمارة الكلم ! »

ما تعتقد أنها أسلوبك ، ترعرع في أحضان الفقر المجاورة فالآخر .. أو  
الـ « هو » ذك الهوة .. وما هو يحصي أنفاسك ليتأكد من سلامتك ، كل  
حركاتك مرصودة عنده .. لقد ذك الفواصل ، والنقاط .. ويعتصم أنفه  
بحبل غسيلك .. وبفضاء جملتك ومن أبرز سمات الـ « هو » حساسية  
« للحن » .. وكل خطأ يصدر عنك يفسد أسلوبك في نظره .. قال « هو »  
يهرع نحوك ان لزم الامر ليذكرك بشروط وجودك داخل الفقرة ، داخل  
الجملة .. داخل « عمارة الكلم » .

وإن خمدت حركتك ، فسوف ينزعج ، ويهزك كفصن خامل لتستعيد  
الحركة المقننة التي سمع بها « سيبويه » و « أبو الأسود الدؤلي » و « ابن  
يعيش » ..

إذا انفصلت عن ففرتك على غير عادتك ، أو لذت بها على غير عاداتك ..  
أو تواتر نزولك وصعودك .. فسيهم بك متسائلا : « خيرا إن شاء الله ؟ »

\* \* \*

أنت ضمير ممزق .. تهم أن تنعتق من داخل أسلوبك الذى لم يعد  
أسلوبك ..

أنت ضمير متمرد .. تنزع الى تكسير أغلالك .. الى تجاوز قواعد  
أسلوبك .. لماذا لا تكون الا لفظا داخل فقرة .. داخل جملة أو شبه جملة؟  
ما عدت ترضى بهذه القسمة !

اذن ماذا تريد ؟

.....

مالك لا تحير جوابا ؟!

ARCHIVE

ما أنت تقف أعزل أمام عسر لغوك !

وينتصب أمامك الأسلوب ، خصما ، ورفيقا ، وحلما ، وكابوسا ، ووعدا ،  
ووعيدا ..

وتلوذ بشرفتك .. أنت تبحث عن مدخل للصفحة .. عن مخرج من  
الصفحة ..

ذلك أنت فى مواقف عجرك ...

أنت الضمير الحائر ، المنهك الذى يهتز ، ويتعالى ويتهاوى عبر المدرج ..

أنت تلاحق شكلك .. ويتعلق أمامك شكلك على عنق علامة استفهام  
مقلوبة .. مقلوبة على أمرها ..

شكلك لم يعد يغريك .. كيف ستجد له نسقا جماليا مغايرا ؟

كيف يتجاوز « شن » العمارة « طبقة » العبارة ؟

كيف ستخرج من جلد أسلوب العمارة ؟

أنت ضمير متلبس بجريمة لغوه !

أنت ضمير متهم بنية الاعتداء على قواعد « عمارة الكلم »  
بأى أداة ستحفر فى صخرة زاوية « الكلم » ..

وتبحث فى زاوية « فقرتك » عن مد عمقى وتأخذك نوبة غريبة ، فتريد ،  
وتسود ، وتحمر ، وتخضر ، وتصفر .. يا لحسارتك فعلا لازما ، ملزما ،  
ملتزما .. ها أنت تلوذ بقطعة طين ملساء لينة تندفع مطواعا بين أناملك ..  
ويتحلل الطين ويسيل بين أصابعك ..

أنت ضمير جرى .. قلت : سأعول على أظافرى أنبش بها صخور  
« الكلم » ..

أنت ضمير مسكون .. سكنتك رغبة وقلت : سأكشف عنك يا عمق  
« الكلم » ، أو أقلب العمارة رأسا على عقب .. سأكسرك يا خطها العمودى ..  
سأدفعك نحو مدى الافق ..

ARCHIVE

أنت « ضمير » متفائل ! :

وان تنط اللفظة اليتيمة على مدارج العمارة بين الفقر والجمل ، فى ثوب  
منمط .. لن يغلفها شريط الكلم الرصاصى ..

ستخصب اللفظة خارج رحم « العمارة » .. ستتشكل شكلا مشكلا .

زهرة الجلاصي

## دور العربي في الأدب الشعبي اليوغسلافي

عندما يجري اليوم الحديث عن أثر أدب أو ثقافة ما في أدب أو ثقافة أخرى علينا ، في بادئ الامر ، الانتباه الى حقيقة وجود عدد من التشابهات في الآداب المختلفة ، ونحن كثيرا ما نقف أمامها - قبل أن نفحص في بحر من الحقائق - وقفة الحيرة والاندھال . الا أن الباحثين على صعيد الادب قد توصلوا في هذا القرن الى مواقف واستنتاجات تفتح أمامنا نوافذ تطل على مناظر جديدة لم يكن يتوقعها عالم العلم من قبل . ومع المنهاج المقارن فقد أصبحنا نعي بضيق هذه الدنيا ، إذ انا بمنهاج دراسة الرموز الادبية او بمنهاج النمولوجية (typology) - قد أدركنا وحدة العالم الثقافية الى حد لم نكن نتصورها من قبل . وقد أشارت - بالخصوص - المدرسة الروسية ( جيومونسكي بوتيلوفا ومليتينسكي ، على سبيل المثال ) (1) في مجال الفلكلور بأن كثيرا من الحوافز (motives) وحتى الانماط (type) تجدها عند مختلف الشعوب والتقاليد وتعود الى مراحل لا بد للانسانية من اجتيازها ، أي ان تآثر الثقافات بعضها ببعض ، وضمنها الآداب ، يتوقف على ما يمكن تسميته بالقواعد العامة لوظيفة الادب . وسيكون التأثير أو الاثر أقوى أو أضعف اذا كان بين أدبين وثقافتين أوسع أسس لهذه القواعد العامة وعلاقات أكثر مباشرة بينهما ، أما النظر الى سجلات علاقات الشرق والغرب فقراءة أعمال الرونسي «كونراد» ستكون مفيدة وملهمة .

أظن أن مجال الادب قد كان يشكو في القرون الماضية ، القرون التي سبقت عصر الانفتاح ، من وضع عدة عراقيل أمامه لحمايته من التأثيرات التي

---

(1) تعتمد أعمالهم على أبحاث المدارس الفلكلورية التي سبقتهم بالخصوص على المدرسة الميثولوجية مع أنهم يقدمون التاريخ بصورة خاصة .

تأتى من الثقافات الاخرى باستثناء بعض الظواهر الادبية التى تعود جذورها الى الادب الشعبى ( الفلكلور ) . واما الادب العربى فهذا الاثر معترف به من قبل الباحثين الجادين (2) . وهذا ما يتعلق بالادب الفنى الذى كان على الدوام تعبيراً عن التذوق المقود ، إن صح القول هكذا .

وفيما يتعلق بالادب الشعبى ( الادب الشفوي ) فهو - على الدوام كذلك - يهرب من « الرقابة الرسمية » وبذلك يحتفظ بنماذجه الادبية والثقافية الشعبية . وعلى هذا المستوى يمكننا متابعة تبادل الثقافات والآداب . ويمثل الادب الشعبى اليوغسلافى الذى يكون ويتكون فى منطقة كانت دائما نقطة ملتقى الثقافات نموذجا أصيلا ، وقد كنا نتحدث فيها ، وفى بادىء الامر نرى فى هذا الادب صفات شرقية - دون أن ننظر الى الادب الذى كان يتكون بين المسلمين اليوغسلاف بطريقته - وكما نلتقي فيه ببطل اسمه « العربى » وفى بعض الاحيان يضاف الى هذا الاسم صفة « الاسود » ، ويظهر هذا البطل « العربى » أو « العربى الاسود » فى مستويين فلكلوريين : فى القصص الشعبية الخرافية وفى القصائد الحماسية ( الملحمة ) الشعبية والاغاني ، أى النثر والشعر .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وفى كل من هذه الاصناف الادبية التى يظهر فيها بطلنا العربى نجد بجانبه شتى الحوافز و « العناصر الشكلية » ( formula ) ، حسب تسمية « لورد » ، المتشابهة والمتعلقة بالحضارة الاسلامية بشكل عام . ومن هنا تطرح الاسئلة العديدة التى قد بدأ علم الفلكلور يقوم بتحليلها وحلها فى القرن الماضى .

(2) هناك عدد من المؤلفين الذين يعترفون بدور العرب فى اشتراكهم فى ذخيرة الادب العالمى مثل :

Mr. Pidal, Poesie arabe y poesia europa, IV ed., Madrid, 1963,  
N. Daniel, the Arabs and Mediaeval Europa, II ed, Chicago-London, 1971,

B. Lewis, the Arabs in History, London, 1950, R. Blachère,  
Histoire de la litterature arabe des origines jusqu'a la fin du  
XVe siecle, t. I-3, Paris, 1952-1966.

وانطلاقاً من « مورفولوجية » « بروب » ( ترجم هذا الكتاب الهام الى العربية في عام 1986 تحت عنوان مورفولوجية الخرافة بمجهود ابراهيم الخطيب ) تعتبر وظيفة البطل ( الشخصيات ) من أهم عناصر النص الفلكلورى إضافة الى الحوافز التى شرحها أوسع شرحاً وأعطاها أكثر أهمية Aarne Thompson (3) . وإذا يمكننا القول : إن أكثر الحوافز المتعلقة بالبطل العربى تتكرر وتتغير تغيراً - حسب قواعد نظرية الفلكلور - من حالة لأخرى . وبذلك تحليل وظيفة البطل (function of hero) يوفر لنا معلومات ومعرفة تسهل لنا فهم الادب الفلكلورى كنوع مهم من النشاط الفكرى والفنى . وإذا ألقينا نظرة الى وظيفة العربى فى القصة والشعر البيوغسلافى (4) فنلاحظ لأول وهلة ان هذه الوظيفة ليست موحدة من ناحية أدائها الفنى لان العربى يظهر فيهما بثلاث وجوه أو وظائف ، فيظهر العربى فى القصة كساحر أو شخص ذو قوة خرافية ويظهر فى الملحمة كبطل شجاع نتعرف فى شجاعته - فى بعض الاحيان - على شيء من الخرافة وأما الوجه الثالث والوظيفة الثالثة فهي متعلقة بظهور العربى فى الاغاني التى يلعب فيها دور الالعريس أو ما يشبه ذلك . غير أننا نرى فى هذا الدور - بوضوح - ظاهرة خرافية كذلك ، أى خصائص العربى تسيل ميلاً واضحاً الى هذه الميزات التى كان يمتلكها الآلهة تحت الأرض ( أمثال الاله « هيفيست » أو « بوسيدون » ) .

ونظراً الى الخصائص العامة التى يتميز بها هذا البطل العربى فيمكننا القول ان فى شخصيته نوعين من معاملته : أحدهما الخرافى وهو أقدم استعمالاً فى الادب ، وثانيهما التاريخى أى الواقعى وهو أحدث استعمالاً فى الادب .

A. Aarne-S. Thompson, The types of the Folktale, FFC, N° 184, (3) Helsinki, 1961, and see Motiv-Index of Folk Literature, I-IV, Copenhagen - blomington, 1955 - 1958.

(4) حينما تستخدم فى النص تعبير الادب البيوغسلافى فيحدد هو - قبل كل شيء - الادب المكتوب باللغة الصربوكرواتية وهى اللغة الأكثر انتشاراً فى يوغسلافيا .

وعندما نتخذ تحليل المضامين التي يشارك فيها البطل العربي بدقة وانتباه ، نأخذ لذلك 20 قصيدة تقريبا ، أكثر من 20 قصة (5) ، يمكننا أن نستنتج بأن العربي يرث وثيقة أحد الأشخاص الحرفيين أو وظيفة التنيين . وقد تعود هذه الوظيفة الى مضمون قصة يشارك فيها مثل هذه الشخصية الحرفية بدور اختطاف النساء وبالحصوص العذاري . ونجد هذه القصة بأنواعها المختلفة في السرد في مختلف البيئات الثقافية ، خاصة في الحضارة الأوروبية وحتى نصطدم بها في حكاية مسيحية عن الولي « جورج » الذي يبارز التنيين وكما قد نجد نوعا من هذه القصة التقليدية في وشم على أيادي الفلاحين المصريين ، إذ يكتشف الوشم مبارزة أبي زيد الهلالي الحية .

غير أن لسرد القصص الشعبية والملاحم قوانين (6) تنبع قواعدها من طريقة نقل هذا الادب ( الشفوي ) وظروف محلية واجتماعية ( دينية ) وتاريخية . وتدل على ذلك النماذج الشعرية في الادب الشعبي اليوغسلافي بشكل أوضح . وسنبدا عرض شخصية العربي من خلال الشعر الغنائي لان الباحثين يظنون هذا الشعر أقدم تاريخيا من الملاحم أو شعر الحماسة - كما يسميه العرب في الشعر القفي « الروسي - وقد يبرهن على ذلك استخدام وظيفة العربي في الشعر الغنائي الشعبي اليوغسلافي . فان هذه الوظيفة لم تتغير كثيرا واننا نرى العربي يأخذ أو يخطف فتيات ( عذاري ) أو تقول لنا الصور الشعرية الغنائية ، وفيها الكثير من عناصر ( formula ) ان الفتيات ينتظرون هذا الحظف متأهبات للمصير المر . ولكن في معظم الاشعار الغنائية يبدو لنا أن الطبقات الحرفية قد جرى تحولها - حسب الظروف التاريخية - الى الرواسب الخرافية ( لا نفهمها دون قراءة دقيقة ) لان العربي لا يخطف بل

(5) يمكنكم وجود الاكثر في هذا الموضوع في :

Rade Bozović, Arapi u usmenoj narodnoj pesmi na srpskome jeziku, Beograd, 1977.

(6) أهم مصدر في ذلك المجال كتاب :

A. Lord, the Singer of Tales, Cambridge. 1960, B. Nathorst, Genre Forme and Structure in Oral tradition, Temenes, Vol 3, Helsinki, 1968.

وانظر كذلك الى د. نبيل جورج سلامة ، التراث الشفوي ، دمشق 1986.



يحصل على فتاة بمهارته : فى قصيدة « المدللة ميرينا » قد غرست الام أمام دارها شجرة وحينما نمت واستطالت أعلنت الأم بأنها ستقدم ابنتها لمن يقدر على أن يجتاز بسهمه قمة هذه الشجرة ولا ينجح فى ذلك الا العربي... وبجانب مثل هذه المهارة الشجاعة فهناك مهارات أخرى تتميز بها التقاليد الشرقية وعلى سبيل المثال - فتح صندوق واعمال سحرية أخرى يقوم بها العربي الذى فى معظم الاحوال يحمل صفة « الاسود » ما يدل على علاقته بالآلهة الذين يعيشون فى احشاء الارض والناظم الشعبى كثيرا ما يبنى فى نظمه الشعرى مضمونه على تضارب لونين أساسها فى حنايا الخرافة والمتضاربات الثنائية : الابيض والاسود (7) . وفى القصيدة بعنوان « يقبل العربي الاسود حبيبته البيضاء » نقرأ هذه الايات :

تهدي البقرة السوداء حليبا أبيض  
تبيض الدجاجة السوداء بيضة بيضاء  
ويقبل العربي الاسود حبيبة بيضاء بيضاء

وأما بالنسبة الى استخدام اللون الاسود لاهداف خرافية فنجد هذه الظاهرة كذلك فى السير الشعبية العربية : فغراب البين لونه أسود وصفة الاسود مستعملة عند وصف الابطال أبو زيد الهلالي ( نذكر قصة ولادته يلعب فيها لون الاسود دورا خرافيا ! ) ، وعبد الوهاب ابن الاميرة ذات الهمة وعنترة وبعض الابطال فى سيرة سيف بن ذى يزن ، وهناك باحثون يعتبرون بأن المصريين والاثيوبيين يمثلون آلهة العالم تحت سطح الارض .

وطالما نحن نتحدث عن هذا الدور الخاص بالعربي الاسود فى الشعر فعلينا لفت النظر الى القصة لان وظيفته ودوره فيها متشابها لما يقوم به هو فى الشعر الغنائى . فيتميز العربي الاسود فى القصة بمهارته السحرية قبل كل شيء ولا يذكر اسمه دون هذه الصفة « الاسود » والعربي الاسود هو صاحب الخاتم الخرافى فان وظيفة العربي سحرية خالصة ..

وما دامت وظيفة العربي تتردد في الشعر الشعبي الغنائي والقصة الشعبية بين العناصر السحرية والعناصر الواقعية التاريخية لان المبدع الشعبي ينقل - مع أنه يختار كذلك - عناصر ونماذج خرافية (حسب يونغ) (archetype) أو يتحدث عنها عن طريق الوعي المشترك . ولكن مهما يكن فعلى أساس سير التاريخ وتطور المجتمع ووعيه يزول الوعي المشترك المختلط بالخرافة زوالا تدريجيا أمام الواقع ويأخذ الوعي التاريخي مكانه تدريجيا ولكن بصورة تصبح الاحترام . ويجد اصطدام المبدع هذا مع الحقيقة صدى في إبداعه فيخلط الحاضر بالماضي وبالعكس . ووظيفة الإبطال - مع أنها تتعقد بعض الشيء من العناصر الخرافية - لا تتغير وإنما يتغير من يقوم بها . وابتداء من « بروب » الى « هليتينسكي » فليس هناك شك في أن الوظيفة عنصر غير متغير (نسبيا) ، أى إنها مستقرة الاستخدام ، بينما الإبطال يتناوبون أو يتغيرون بأسمائهم (8) . وهذا العنصر من عناصر الإبداع الشعبي المهمة ، متغيرة دائما . وحتى في الوظيفة التي يقوم بها العربي (الأسود) نرى تأكيد ذلك :

فالعربي يرث وظيفة أحد الآلهة وبعد ذلك ، وحسب نشوء الأدب الشعبي وتقريبه في سيره من الواقع ، فإن الماضي والحاضر يختلطان في شخصية العربي كما يختلط التاريخ بالخرافة . وإذا تفضلنا بمتابعة الشعر الشعبي الذي يتحدث عن نضال الشعب من أجل تحرره من الاحتلال التركي فنرى أن وظيفة العربي تنتقل الى التركي المحتل مع التغيرات اللازمة - حسب سير التاريخ - عناصر الوظيفة . وبذلك يتغلب التاريخ على الخرافة فتصل الى الأدب الشعبي واقعية التعبير وكذلك المأخوذة التي يعرفها بعض الباحثين تعبيرا عن صراع شعبيين أو دولتين (9) .

وكان تطور الوظيفة هذا يتمثل بأوضح طريقة في الملاحم الشعبية اليوغسلافية حينما نجد وظيفة العربي مختلطة بعناصر مختلفة كثيرا ما لا تتلاءم وهذا المزيج في أداء الوظيفة يدل على تقارب الماضي والحاضر . و « يفقد »

(8)

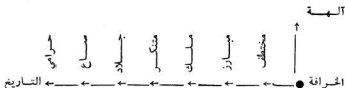
(9) رأى Bayard, Veselovsky وغيرهما .

العربي صفته « الاسود » أكثر كلما تقترب الملحمة من الحاضر أو من التاريخ . وكما تستر العناصر الخرافية في الوظيفة من وراء تصرفات العربي التي يمكننا أن نرى فيها تصرفات يومية . ويتميز العربي في معظم الاوقات بشجاعته وطاقته البدنية وبارزه في معظم الاحوال البطل الرئيسي للملحمة اليوغسلافية هو « كرايفتش ماركو » ( ماركو ابن الملك ) . وطبعاً ، من المتوقع أن العربي الاسود في الشعر الغنائي اليوغسلافي ليس له خصيم يبارزه ولذا - بجانب الاسباب التي تم ذكرها - يتعرف القارىء في هذا الشعر الملحمي على عناصر خرافية بأسهل صورة . وهناك أكثر من ستمين قصيدة يظهر فيها العربي مبارزاً مع أنها ليست متناسقة تماماً من ناحية سرد المضمون ، لان نصفها يتوقف على المضامين التي تتحدث عن سجن أحد الابطال . وفيها يلعب العربي ثلاثة أدوار : دور الحصم ودور معاون السجان ( وفي هذه الحالة بدلا من العربي تظهر العربية ) ودور ثانوي . ويمكننا أن نفهم من وظيفة العربي في هذه القصائد بأنه يربط بعض العناصر الخرافية من إله قديم جاء به السلافية من مسقط رأسهم الى البلقان . وأما مجموعة أخرى من الملاحم فهناك قصائد متعلقة بالمضامين التي يلعب فيها العربي دور مختطف العروس وذلك يكرنا بوظيفة التنين في الشعر الغنائي . والجدير بالذكر أن هناك قصائد ( 12 قصيدة ) يحكي مضمونها لنا عن مصير امرأة ( وهي تكون زوجة أو أخت بطل يوغسلافي ) اختطفها العربي . وبعد المباراة بين العربي والابطال المحليين تصفى الامور وتنجو المختطفة ( علينا أن لا ننسى ان نظرية الملحمة تطلب النهاية السعيدة ) . وبطبيعة الحال فلا يجري سرد المضمون في كل قصيدة الا بطريقة تختلف اختلافاً من قصيدة لآخرى . وأما بالنسبة الى نهاية القصيدة فتكون على الدوام « سعيدة » وينتصر البطل المحلي وذلك من احدى القواعد التي يتميز بها الشعر الملحمي لانه - بنيتة - شعر التفاؤل . وكما نرى في هذه القصائد بأن العربي احتفظ - ولكن بشكل متغير - بوظيفته قد تم ذكرها في تحليل الشعر الغنائي .

وكما أن هناك مجموعة ثالثة من القصائد الملحمية التي تظهر فيها وظيفة العربي أكثر واقعية وحينما نراه فارساً يركب حصانه السريع ويشارك في سباق الخيول ( أريد أن أذكر في هذا المكان أن يطلبنا « كرايفتش ماركو » يركب حصاناً اسمه بدوى bedevija في لغتنا ) . والعربي يحرص على أن يفوز في السباق ولذا يحتال اذا كان حرصه « مهدداً » .



عنده السلافية ( الصقالبة ) القدامى . ولذا يمكننا إبداء هذه العمودية بهذا  
الرسم البياني :



وليس تعقيد وظيفه العربي وطول أفقيته وفكرة عموديتها إلا دليل يقول كثيرا عما عاشته الملحمة من التجربة المضمونية والشكلية . والآن ، حينما اقتربنا من نهاية هذه الدراسة السريعة فقد يطرح سؤال لا تنكر أهميته بالنسبة للفهم الجيد في نظرية الملحمة وهو : من يستطيع أن يكون بطلا في الادب الشعبي ( الشفوي ) خاصة اذا كان هذا البطل بكونه أجنبيا ؟ ، وابتداء من رأي « باياد » الفرنسي ولى أحدث الابحاث الفلكلورية ( بوتيلوف ، جيرمونسكي ، بروب ، لورد ) نجد أن الملحمة الشفوية - بصورة عامة - تعمل على أساس الحاجة للموسسة الى وجود طرفين ( شخصين ) يتخاصمان وعادة يتبع هذا التخاصم من الصراع المباشر الذى يجري بين الشعبين المجاورين ، بالاضافة الى أن الابطال يروثون خصائص وميزات الابطال الحرفيين الذين سبقوهم في التقليد الشفوي . ولكن حالة الملحمة اليوغسلافية تعطينا تنوعا مهما على صعيد النظرية لاننا نعرف بأن العرب والسلاف الجنوبيين لم يكونوا متخاصمين بصورة مباشرة بل غير مباشرة ، اى عن طريق وبواسطة الامبراطورية البيزنطية (IO) وكما هناك طرق أخرى تعرفها كل ثقافة في احتكاكاتهما بالثقافات الاخرى فعلىنا ألا ننسى أن الصقالبة ( السلاف الجنوبيون ) كانوا قد استخدموا الجيش البيزنطي في اشتباكاتاته الحربية مع العرب على الحدود العربية البيزنطية (II) وأن الثقافة العربية الاسلامية كانت آنذاك تلعب دورا هاما في منطقة البحر المتوسط الابيض وأبعد من ذلك .

A.A. Vasiljev, Byzance et les Arabes, Bruxelles, 1935. (10)

(II) هناك معلومات تاريخية تقول : إن الصقالبة ( السلاف ) هاجروا الى آسيا الصغرى خمس هجرات : كانت الاولى عام 664 حينما جاء 5.000

وأما الطرق الأخرى المتعلقة بقوانين الاحتكاكات والتبادلات الثقافية فهناك أمر لا بد من ذكره في هذه الدراسة - ولو كان ذلك بصورة مختصرة جدا - وهذا الأمر يشير إلى استعمال آلة موسيقية وترية في أداء القصائد الملحمية وغير الملحمية عند اليوغسلاف ( السلاف الجنوبيين ) والعرب . واسم هذه الآلة عند السلاف « غوسله » ومن المتوقع أن القاريء العربي المحترم قد أعاد إلى ذهنه الرابة أو ربابة مع أنها - حسب علمي - ما زالت تقضي أيامها الأخيرة في البيئة البدوية ، في هذا الزمن الذي قد نسينا فيه تحت ضغط التكنولوجيا الحديثة أن نحفظ ببعض الأمور التي تسهل لنا قبول المستقبل بأصح طريقة فأول مقاومة ، لأن المستقبل يعنى دائما التفاهم بين الحاضر والماضي . وهذه « غوسله » ذات وتر واحد ملفوف من عدة شعرات من شعر الحصان ( اليوم دخلت التكنولوجيا الحديثة هذا المجال أيضا فاستبدلت الشعر بالنايون ) وتنتج هذه « غوسله » لنا ذا نغم واحد ، ويتابع نغم المغني الشعبي الذي يفني عن الحوادث الحاسية . كما أن هناك على شواطئ البحر الأدرياتيكي رقصة شعبية يظهر فيها العربي كذلك كمبارز أو خصيم (12) .

ويبقى لنا أمل شديد في أن الأدب الشعبي ( الفلكلور ) يتيح لنا إمكانيات عديدة في دراسة لا تحيط العلاقات الثقافية فقط بل كذلك ما نسميه بالحياة الانفرادية وكما يعطينا هذا الأدب مجالا واسعا لفهم أكمل لما ندعوه بروح الشعب وثقافته الخاصة التي أثبتته - بلا شك - في جميع النماذج الثقافية منذ القدم .

### رادي بوجوفيتش

سلافي إلى سوريا واستوطنوا هناك . وعشرون سنة بعد ذلك أسكن القيصر البيزنطي « يوستينيان » مجموعة جديدة من السلاف وعدد منهم انتقلوا إلى سوريا كذلك . وفي عام 762 انتقل إلى آسيا الصغرى أكبر عدد من المهاجرين ( أكثر من 200 ألف سلافي ) وحدثت الأخيرة في القرن الثاني عشر حينما انتقل عدد كبير من السلاف الجنوبيين إلى آسيا الصغرى .

(12) يأمل مؤلف هذه الدراسة المتواضعة نقل أطروحته للدكتوراه « العرب في الشعر الشعبي اليوغسلافي » إلى اللغة العربية ونشرها في أقرب وقت ممكن فستتاح بذلك فرصة للقاريء والدارس العربي للتعرف الأفضل على مثل هذه المتشابهات بين الثقافتين : اليوغسلافية والعربية.

## وجنت مرجانة ...

ألفت بالجريدة من يدها صارخة . وقعت أرضا وجسمها النحيف الداكن السمرة يرتعد . مسمار قديم كساه الصدا انتزع فجأة قطعة خشب والقي علي الثري . تشنجت العضلات وتيبست المفاصل وظهرت العروق الزرقاء المحيطة بالعينين والمنتشرة في الساقين . كتلة لحم تائهة بين السواد والزرقة مكومة فوق السجاد الفاخر الآتى حديثا من اسطنبول والهارب من الجمارك بلا أداء ولا ضريبة .

هرعت الحادمة ومعهما السائق وجاء الدكتور ليعان حالة الانهيار .

لا تحريد أن تتكلم ولا تود رؤية أحد . في غرفة نومها الثمينة الرياش والآثاث ترقد فوق فراش صمم على غرار عصر الحب والمغامرة . عصر الملك الراكض دوما خلف الفواني لويس الخامس عشر ، ترقد مع الحبوب المنومة والجريدة فوق المنضدة الصغيرة ترمقها بغيظ ولا تحاول التخلص منها . قال الدكتور : عليها بالراحة والحبوب المهدئة للاعصاب . ألج في السؤال حتى يشس ولم يعرف سبب السقوط . وحيدة تبكي تارة وتصرخ أخرى .

بعد أسبوع من الوحدة والبكاء والعزيل فتحت باب الغرفة ونادت الحادمة . فوق الفراش وتحت الاغطية الحريرية تجاس القرفصاء نصف مسمار مهمتم الرأس ينز صديدا . رأس معصب وعينان منكسرتان يتراهن عليهما الحول بلا كحل ولا مساحين . بعصبية تهتف في وجه الحادمة اللثيمة النظرات :

— أين زجاجة الويسكي ؟ من الذي أخذها من فوق المنضدة ؟

— الدكتور قال ..

تقاطعها بحدة وأصابها النحيلة تكاد تمزق الاغطية الحريرية :

- بديع هذا . لم يبق غير الدكانرة الصعاليك ليتحكموا في حياتي وأعرف منهم ما أفعل وما لا أفعل . اذهبي واحضري الزجاجة .

تصب كاسا . تشعل سيجارة . جفنان منتفخان وأنف متورم . ما زالت آثار الصدمة قابضة فوق وجهها الكالج .

تقول الخادمة وهي تقترب من الفراش :

- سأل عنك الملحن أسعد كمال في الهاتف . طلب الزيارة لكنني رفضت حسب أوامر الدكتور وحسب رغبتك . يعود الغضب يرجعها ، يلقي بها ريشة في مهب الريح :

- هذا العجوز المريض ماذا يريد ، يبيعني لحنا من عهوده الغابرة . ألم يكتشف بعد أن منبعه قد جف ، ودعيبته التي يتحدث عنها أمست أسطورة سخيفة الاحداث . لا أريد رؤيته مرة أخرى . قل لي له : رحلت . ماتت .

- وسأل عنك السيد عبد الفتاح والسيدة حورية . قلت لهما : انك في رحلة عمل .

تلقي بالكاس الفارغة فوق السجادة الفاخرة القادمة من اسطنبول دون أن تطارده الجمارك . تصرخ بهستيرية :

- اسكتي . ماذا يريدون مني ؟ لم يسأل عني غير العجائز أشباه الاموات . ألم يتصل غيرهم ؟

- لا يا سيدتي .

- احضري كاسا أخرى فارغة . ماذا تنتظرين ؟

تتنهد بحرقة والنار ظلتهمها ببطء .

ما عاد يذكرني غير عبد الفتاح الذي قال أنت تعيديني إلى أيام الشباب الضائع . كنت أسمعك وأنا ما زلت فتى يافعا أحلم بالحب والحياة . كانت أغانيك المفتاح السحري الذي يفتح أمامي دنيا الاماني والجنون .

إنها أيام العز والمجد يا نرجس . هل ولت أم ما زال للخير بقية ؟

المعتوه . هل يتصور اني من جيله هذا المخرف الذي تجاوز السبعين .



تأخذ الكاس من يد الخادمة . يدما ترتعش وهي تصب السائل الذهبي .  
تبتلع ما بالكأس دفعة واحدة . انفاس متقطعة ونقمة مسعورة بصدرها .

- لم تنظرين إلي هكذا ؟ هل تصدقين الحرافات التي يطلقها الاشرار ؟  
مؤامرة تحاك ضدي قصد القضاء علي . لكن أين محمود ، ألم يسأل ؟

- لم يسأل غير عبد الفتاح .

- لا تعيدي ذكر رجل السبعين الفاني . السافل : انتزع الاموال وأكل  
اللحم وما هو يلقي بالعظام بعيدا .

لا . لم يعرف نرجس على حقيقتها اذن .

تقفز من الفراش حافية القدمين . شبه عارية الا من قميص نوم من  
الدنيتلا الوردى . تنصفح الجريدة على عجل . تتسمر نظراتها فوق مقالة  
في الصفحة الخامسة . تعود تزمجر وهي تمزق الاوراق . تقع على الارض  
ثانية ضاربة السجاد بقبضتيها . دموعها كفهم ونشيجها يتعالى . تدفع  
الخادمة المقتربة منها صارخة :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- الحفير . لن أرتاح حتى أحطمه وأنتقم منه . صحفي ماجور بلميم  
منقوب . من أين جاءت مرجانة ؟ وما هو سر مرجانة ؟ وهل انتهت مرجانة ؟  
الكلب كيف عرف أن اسمي مرجانة ولم أبح بسري لاحد ؟ من أين جمع  
معلوماته ؟ هذا ما يجننني .

- الجميع يعرفونك بالمطربة اللامعة نرجس حماد . من سيصدق تخريفه ؟

- اذن قرأت ما كتب ؟ تعرفين سبب سقوطي ونكيتي .

- لم أنطق بحرف يا سيدتي ولم أصدق ما قيل .

- لكن القراء سيصدقونه . إنهم لا يصدقون الا الهراء ولولا الهراء ما  
قرأ أحد جريدة . الا تعرفين أيتها الساذجة أن الصحافة ما تفننت في علم  
الهراء الا لارضاء القراء التافهين .

تعود ترمي فوق الفراش تعصر الوسادة بغيظ واعياء . والخادمة في  
دهشتها لثيمة مشفقة :

- لكنك المطربة نرجس حماد ، ابنة المناضل عبد الرازق حماد . مات فى الجبل مع الفلانة . وأمك ابنة أحد الشيوخ الكبار الذين قدموا بيوتهم مأوى للشوار أيام الحركة الوطنية .

تصفعها بالسادة صارخة :

- وهل صدقت هذه الترهات التى قلتها فى ساعة غبن وزيف ؟ هل تعلمين كم دفعت ليتبرع ذاك الصحفي المافون بالكتابة ؟ خسمائة دينار . يوم كان الدينار رافعا رأسه لا يتوقع الانخفاض . يوم كنت صغيرة والجميع يصدقون ما أقول وما أفعل . يوم كنت نجمة المدينة ومطربة الافراح والاعراس . جميلة برغم قبح وجهي . فاتنة برغم وقاحتي كنت فى الثالثة والعشرين وفى العشرين أستطيع أن أقول ما أريد ويصدقني الجميع ، أما بعد الأربعين فالكلام يصبح أشواكا والحقائق كذبا ، والبقاء مراوة تلاحقنا بلا هوادة .

ARCHIVE

- سيدتي حان وقت الدواء هل أتيتك بعصير ؟

- اخرسي . لا أريد دواء هؤلاء الكاتبة الضعافيات هم ألعن من الاقلام المأجورة . صمهم الابتزاز .

- ماذا لو أخذت حماما ساخنا يا سيدتي .

- قلت لا أريد شيئا . الهاتف يرن . لا تردى . حتما عبد الفتاح على الخط . عجوز يطاردني بـماض وسخ .

- هل أحضر العشاء . دجاجة محمرة .

- قلت لا . دعيني . أريد أن أموت جوعا قبل أن أموت غيظا . أكرهين ما قال عبد الفتاح منذ سنوات ؟

قال : إنني كالدجاجة المحمرة لذيدة وشهية يأكلها الجائع ولا يشبع . الآن شبع الكلاب . أكلوا اللحم وعافوا العظام . لحوم طرية تهرت فى السوق فما الذى سيجعلهم يلهثون خلف بضاعة المحسمين .

تصرخ فجأة :

- إلي بالمرأة . لا تنظري إلي هكذا ، ما زالت مطربة المدينة الاولى ، نرجس حماد مرجانة الفتاة المجهولة اللقب والنسب .

من الدولاب تخرج امرأة فضية مزركشة بديعة الزينة تقدمها لها بصمت . تجذبها اليها بعصبية . تنظر الى وجهها المتعب الملامح . تبتسم بمرارة لصورة المرأة الواقفة امام عتبة السرة الداكنة . أمى سمراء أم نصف زنجية ؟ أمن أجل ذلك اطلق عليها اسم مرجانة ؟

ترفع يدها عاليا لترمي المرأة من النافذة المفتوحة . تضحك ساخرة والحادمة تهتف دهشة :

- مرآة جميلة يا سيدتي .

- إنها هدية وغد أود لو أحطه كما خطمتها . مدير بنك عظيم الشأن . جاء بها من اليابان في احدى رحلاته والساعة الذهبية المرصعة بالماس هديته أيضا . كان راكما تحت قدمي كالآخرين . كاد يترك عائلته ويطلق الزوجة الغبية من أجلى . لا تطلو له شهرة إلا وأنا اجلس قبائله عارية الصدر والافخاذ أغني له وهو يصفق . أين هو الآن ؟ هل دخل درب الاستقامة أم راح يركض خلف الجنائذ التي <http://Archivebeta.Sak>

ثانية تقفز من الفراش حافية القدمين ، تندفع خارج الغرفة والحادمة المذهولة تتبعها ببلاهة طمست خبت العينين اللثيمتين . تدور في البيت الفخم الفسيح الحجرات الحصان الجامح الباحث عن منفذ للهروب من الاسطبل . التحف الثمينة واللوحات القيمة وانوحدة النكراء وماض قضت العمر تصقل وجهه وهي تضع فوقه الطلاء . ها هي يد ماكرة آتية من دنيا العبت تتقدم لتمسح الطلاء ، تنتزع قشوره عنوة ليعود الوجه الى أصله كالخا جافا باعت المعالم على وشك التعفن . امام المكتبة تتوقف . كتب انيقة الطباعة مرصوفة فوق الارصف للزينة لا للقراءة . مدمونة الثقافة والمطالعة . لو سارت بدرب الثقافة لما كان لها هذا البيت الباعظ الثمن ولا رصيد البنك ولا السيارة المرسيدس . المال في الحفلات والاعراس لا بين طيات كتاب وكلمات أمست رخيصة أكثر من الانسان نفسه . تأخذ كتابا تلقي به أرضا . تأخذ كتابا آخر وآخر تلقي بما على الرف من كتب على الارض . ترفس كومة الاوراق بقدميها ضاحكة .

تضحك والدموع ما تزال عالقة بعينيها تقول ونظرات الحادمة تحتضنها  
باسى :

- أتعرفين ما كتب احدهم؟ نرجس مطربة مثقفة . هوايتها المطالعة لا تنام ليلا الا  
بعد أن تقرأ كتابا . تحب الشعر وتحفظ جميع أشعار امرى، القيس وعمر بن أبى  
ربيعة تعلمت أحرفه القليلة حتى لا أختم بابهاى . كان ذلك في الأشهر الاولى .  
بقيت أعواما لا أتقن الا كتابة اسمي وحتى الاسم كنت أرسم الأحرف ولا  
أكتبها فتبدو معوجة تثير الضحك . عبد الفتاح أرغمني بعد ذلك على  
التعلم . قال يجب أن تتعلمي ولو بعض الأحرف حتى يمكنك مطالعة جريدة.  
بقيت أعواما أتنازع مع حروف الهجاء حتى استطعت فك الحروف وأقرأ  
هذر الجرائد . سخافات الجرائد يقرؤها حتى الجهلة . لو قدمت جريدة لحمار  
لقال لك ما فيها . حمير يخاطبون حميرا فكيف لا يفهمون بعضهم بعضا ؟  
أين علية السجائر ؟ أين ؟

تشعل سيجارة أخرى . بضربة كف تضرب يد الحادمة الممدودة بكوب  
العصير وزجاجة الحبوب المهدئة للأعصاب .  
- قلت لا أريد دواء . أفعلي ما أمرك به والافاذهبي .

تنفث دخان السيجارة لتعود تقهقه ساخرة .

ثلاثة أشهر بقيت أعيد وأعيد اسم امرى، القيس وعمر بن ربيعة  
حفظتهما ومع ذلك لم استعملهما فى حديث ولا كانا موضوع سهرة . الزناة  
الذين دخلوا هذا البيت لم يكن يهمهم الشعر ولا الثقافة كانوا من هواة  
اللحم الاسمر ، النهود الممتدة والافخاذ العارية . ومع ذلك قال ذاك الصحفي  
الماجور إنني مثقفة . لم طبعاً ؟ لاني دفعت ثلاثمائة دينارا . شيك بلا رصيد  
ومشكلة وقع فيها ولو لم ادفع المبلغ لكان مآله السجن . وبعد كل ما قدمت  
ما هم ييحتون فى تربة الماضى البعيد ليقولوا انى مرجانة القروية القادمة  
من دشرة مجهولة ابنة الأب الذى لم يعرفه أحد والأم التى ماتت بفضيحتها  
وهى تلد الثمرة المحرمة .

ربع قرن من العطاء وفى النهاية يكتشفون سر مرجانة مرجانة التى  
ادعت الجدة انها ابنتها لا حفيدتها ولم يصدقها أحد ايضا . فى تلك الدشرة  
النائية لا يصدقون الا الفضائح ولا يعشقون الا النميمة .

لم أعد ابنة فلاق استشهد في الجبل ولا صاحبة الماضي الوطنى ربع  
قرن من العطاء تبعثره جرة قلم .

– الهائف سيدتي هل ؟!

– لا . حتما عبد الفتاح . لا أريد أن أراه ثانية .. لا أود رؤية الشيخوخة  
العاجزة .

تلقي بنفسها على السجاد والضحكة المجنونة لا تفارق شفيتها :

ها أنا أتكلم كرجال الاعلام . ربع قرن من العطاء والفداء والكفاح طر  
يتكلمون اذ لو سكتوا ماتوا جوعا . كاهم شحاذون يبيعون القلم والحرف  
والضمير من أجل دينار . يرتكبون أبشع الاخطاء مدعين مواكبة الظروف  
أنت أيضا تواكبين الظروف . تحملت نزواتي وجنوني من أجل المال ومن أجل  
أن تقولي إنك خادمة المطربة الشهيرة نرجس حماد . اليسست هذه الحقيقة  
يا زهرة ؟

– أنا هنا معك منذ عشر سنوات و

تقاطعها متجهة الى الخارج : <http://Archivebeta.Saki>

– قلت عندك دجاجة محمرة وسلطة وفاكهة . اذن ماذا تنتظرين ؟ ألم أقل  
لك : إني جائعة ؟

– رفضت الدواء والعصير و ..

– أريد أكلا لا عصيرا . جائعة . ألم يقل ذاك المعجوز الفاسق : إني  
دجاجة محمرة ، اذن فلاكل نفسى بنفسى ، ما دام السفلة راحوا يحومون  
حول اللحم النيء، ذباب يعيش وسط صفائح القمامة . أجسام طرية ووجوه  
لامعة مآلها الزباله . الزباله لجميع القديم والجديد ..

– أجهز المائدة يا سيدتي ؟

– ماذا تنتظرين – مع الدجاجة ضعي زجاجة شمبانيا . أين الزجاجة التي  
جاء بها أسعد كمال ؟ ما أكثر الاغبياء وما أقل الالحان الجميلة .. أسعد يدعي  
الموعبة والريادة فى التلحين وعبد الفتاح مثله . طر . عجوزان مفروران فى  
متحف الاشياء المنسية .

تهرول الخادمة نحو المطبخ وترتمي فوق الاركة ويدها اليوم صور اختطفته من أحد الارفف . ضباب وغيوم بعينها وهي تتصفح الالبوم المكتظ بالصور . ماض مشحون باللهو والزيف والمسرات التي ولت مع الاعوام الغابرة هل انتهى كل شيء يا مرجانة ؟ هل انتقش السحاب ووقعت صروح الوهم ؟

هل تكون مرجانة فهقهة معتوعة وحسرة ألم ؟ تهتف بالخادمة قبل أن تنفوه بكلمة :

- انظري ، هذه صورة أحد المزيفين . هو أيضا ادعى أنه كان بطلا ومناضلا . صور في الجرائد ومناصب كراسي في كل مكان . أنا عرفتة على حقيقته . حين يسكر الرجال يجهرن دون وعي . الحقيقة لا تقال قبل السكر لكنها تأتي دوما بعده . في غرفة النوم وفوق الفراش اعترف . قال : إنه كان عميلا وماجورا ولم يعرف الوطنية ولا فهم لها معنى لكنه واكب الظروف كالجميع وانتزع فرصته . بديعة هي مهزلة مواكبة الظروف . اثرى الخنازير من خلفها واحتجزوا المناصب ولم يتكفل صحفي عبي بالسؤال عنهم ولا حاول أحد معرفة حقيقة اغترابهم . حتما يخشون بطشهم أما أنا فمن السهل العتب بمصيري إذ لن يجدوا من يخافهم الاوغاد <http://www.alawagad.net>

- المائدة جاعزة يا سيدتي .

- ماذا تقولين في شرك ؟ مجنونة . مخبولة . تكلمي . لم أنت صامئة أم أنت تحاولين مواكبة الظروف بالصمت ؟

- فليقل التافهون ما يريدون قوله ، لا ترعجي نفسك بسخافات ما يقال .

- لكنني أتعذب . عاد الدوار وعاد الضباب يعمي عيني . من أين جئت بذلك الدكتور الغريب ؟ لم لم تتصل بالدكتور عاصم ؟ تكلمي هل ستبقيين صامئة وأنا أهذي كالمحمومة .

- اتصلت به وقال انه مشغول .

- الكلب . رفض المجيء . هو أيضا . سافل اعتقد أنه أصبح رجلا .

- ستبرد الدجاجة يا سيدتي .

— كان أول رجل أحببته . فتحت له عيادة وجعلت منه دكتورا بعد أن كان لا يجد ما يأكل . علم وغطرسة وجيوب فارغة . هو أيضا من الدكاترة الصعاليك رأسماله الزيف والشحاذة . كان بلا شيء وكان راکما تحت قدمي واليوم يرفض بالمجيء وقد أصبح كبير المرتزقة . سمعت أنه يتندر بأغاني قائلا : إنها أغاني عصر الانحطاط . ألم يعلم أن أغاني عصر الانحطاط فتحت له عيادة . صعلوك آخر سانتقم منه . لن أرناح حتى أنتقم منهم جميعا .

تدخل قاعة الطعام . أطباق الاكل مكدسة فوق المائدة الطويلة المستطيلة . رائحة شهية تنبعث من الدجاجة المحمرة النائمة في صحن بلوري كبير . عيناهما مبحلقان في الجسم الصغير المنتظر الشوكة والسكين . زهرة تحاول الضحك تحثها على الجلوس والاكل . لا تتحرك . ضباب بعينيهما وعممة بفكرها . فجأة تمسك بالسكين لتنهال على الجسم الصغير طعنا وضربا ونوبة النشيج تعود تجربها :

— لا ، لن أقطع بيدي نرجس لاكلها . لا . ألم يشبهني ذاك المخرف بدجاجة لذيفة محمرة . لن أكل نفسي نفسي لكني سأعزفها إربا إربا قبل أن يمزقها التافهون .  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— سيدتي ، حبة واحدة ويعود الهدوء .

— اذهبي ، أغربي عن وجهي . دعيني وحيدة . دعيني .

تسرع نحو الصالون ، تسقط فوق الأريكة لاهثة ، باكية . الغرفة ترمقها بصمت وذهول . ضاعت البسمة ولم يبق من نرجس غير شعر مشعث وعين منتفخة بالدمع . لكن الامل لن يموت .

من الركن تجذب آلة الهاتف . تدبر رقما . لا من يرد . تعيد الرقم ثانية . لا من يرد . تضع السماعة ساخطة . تعود تطلب رقما آخر . لحظات ويأتي الصوت الكسول ليسحقها ببرود رهيب . نسأل عن محمود . أين اختفى ، منذ شهر لم تلمح له وجهها . لم تره منذ جاء وأخذ الدناثير الالف قائلا : إنها ثمن العملية التي ستشفي أمه المريضة . لا يريدنا أن تدخل مستشفى ليعبت أطباء ختمتهم اللامبالاة ، همهم مرتبات آخر الشهر ولا شيء غير ذلك . أمه

يجب أن تدخل مصحة حيث الحشوع والركوع للدينار . أخذ المال وذهب فماذا جرى بعد ؟ لم لا يسأل ؟

بتكاسل يجيب الصوت :

— محمود يتزوج الليلة في نزل على الشاطيء وتحيي الحفلة المطربة الصاعدة بدور .

— كذب . أنت كاذب .. كاذب .

— إنها الحقيقة يا مرجانة . مساء الخير . ذاهب أنا الى الحفلة بعد لحظات . محمود صديق العمر .

افعى جريعة تتلوى فوق البساط الملون ، المزركش برسومات بديعة . تصرخ بهلع . بجنون . تمزق شعرها . تعض وسائد الارائك والخشب . زهرة تصرخ مذعورة . تلقي بمزهريه من الكرسي تنال على الحائط . تنكسر . لا تكف عن البكاء والصراخ . محمود يتزوج الليلة . حتى هو الكهل الفقير الذى قال يحبها ويريد لها لنفسه . يغير ولا يحب الاشتراكية فى الحب . عاشت تسلب الاثرياء وجاء لص فى النهاية ليسلبها . لكن هل هى النهاية . هل حقا ماتت نرجس وضاعت الاموال والاعراس <http://Alarab.net>

المطربة الصاعدة بدور . طز . بغى اخرى صاعدة تواصل مسيرة أغاني عصر الانحطاط فى زمن العبث والتهريج بقبضة دامية تضرب الحائط صارخة :

— لا ، لن تموت نرجس حماد . لن تقتلها مرجانة . مرجانة ماتت وهى تغادر الدشرة الفقيرة يطاردها نباح الكلاب المسعورة وهمسات العجائز الاميات . لن تقتلني مرجانة . لا . لا .

ينكسر الجذع النحيل وهو يقع أرضا . تصرخ الخادمة وهى تمسك السماعة طالبة النجدة ودمعة فاترة تسير بصعوبة باحثة عن مكان فوق الحدين :

— لقد جنت مرجانة . جنت مرجانة .

حياة بن الشيخ



## زائر الليل

خلق الظلام فوق البلدة ، ثم هبط وجثم على مصراته فانحنى الى نفسها  
والم في القلب ينبت منه الى الاطراف بعد ان ازمى الداء علتها جور الاثراك..

صلى المبروك فى الليل وتمنى للقمح المبدور ان يرتوى داعيا للكرمة قرب  
الباب ان تثمر ثم التفت الى الصبي الذى يتعلم ترتيل الآيات .. نظر اليه  
فراه فارسا عالما فى يوم قريب . هم بامتحانه عندما سمع نباح الكلب  
الحارس فى الحديقة .. قام المبروك يتأون فى مشيته الى الباب يحمل المصباح  
ليرى

« .. لقد ابصرت النور فى بيتك فعرفت اننى قد وصلت مصراته .. رحلة  
متعبة ..! »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان الفارس قد ترجل واتكا الى الكرمة العقيمة عند الباب المردود . خطا  
المبروك خطوة اليه وقد تشابكت أصابع يديه فى تودد :

« . نعم لقد وصلتها .. اهلا بك يا سيدى .. من آتى مصراته رأى  
مصراته .. لكن بينك ووسط البلد مسافة .. أسمح يا سيدى الضابط بأن  
ادعوك الى العشاء؟! الراحة تنفك من بعد سفر طويل .. »

ربط التركي الفرس الى الشجر وخطا نحو باب البيت يتبعه الكلب  
والرجل ، وأخذ المبروك يعد فى عجلة جلسة مريحة لزائر الليل .

حل الوثاق عن قوائم الشاة بعد ان ذبحها وهول وسط الحديقة يقطف  
من ثمارها ، جمع التفاح والرمال فى طبق وأتى به الى زوجته التى أوقدت  
النار للطعام بينما أخذت ابنته تعد التتور للمخبز وامتزجت رائحة الشواء  
برائحة عجيين يلفحه اللهب .

بدأ الصبي يحضر الى والده والضيف اصناف الاكل كلما طاب منها شهى واستوى . والضيف يأكل ويأكل ويشرب من عصير العنب ومن ماء له عطر الزهر فيما يحدث المبروك عن الطريق المزروع فى جهة ( الخمس ) . لقد قدم لزيارة شقيقه . قال لمضيفه . وأخبر الفلاح بزهو ان شقيقه يقوم بجباية ضرائب العشر لقائمقام مصراته . اما هو فيقوم بتجنيد فتيان للخدمة فى جيش الوالى .

دام الحديث وقت العشاء والضيف يبلغ الطعام ويلفظ الكلام حتى سمع الصبي يقرأ من غرفة أخرى :

« التين والزيتون . وطور سنين . وهذا البلد الامين » .

عندئذ توقف الحديث حول الفلاحة والحراج لان الزائر أصغى . ثم سأل :

« - ابنك هذا .. الا تدعنى آخذه معى الى الخمس فى طريق العودة ؟! هناك سيصبح جنديا من المتطوعين لخدمة الوالى وقد يصبح يوما وله صيت وشأن ..! »

فوجيء المبروك ثم فزع واستغاث :

« - إنه ... إنه ابنى الوحيد يا سيدى ... وانا لم تعد لى قوتى الاولى ... فدعه لى .. إنه عونى ومؤنسى .. كما إنه الذى يزرع هنا ويرعى .. إنه ذراعى .. وكلما زرعنا كثيرا ، زادت جباية الاعانة وضريبة العشر ..! »

تبرم التركي ونفر من كلمات الأب وقال :

« - ... لا نجد منكم سوى اعتذارات الذل حين يجب الدفاع عن الولاية .. ولكن مهلا .. سأتركه لك .. انا اعرف اين أجده اذا ما ألح الامر ..! وعلى ذكر ضريبة العشر .. أنت ذكرتها .. اليس كذلك ؟! سأحبل منك الضريبة الى أخى .. تخفيفا لاعباء الدولة .. لا بد من معرفة الواجب .. لا تأتئى الآن بعذر ردى .. لا تأتئى بعذر .. إما الاسلام وإما الجزية ! »

قام المبروك الى الغرفة المجاورة . فتح الصندوق القديم وأخرج صرة من المال . أخذ يعد القطاع الصدئة . عدها وربط الحزمة . عاد الى الفارس المنتظر . مد له النقود فى صمت ، ثم جلس .

تحسس التركي النقود فى الكيس ثم ابتسم فى عتاب :

« .. أهذا كل ما أتيتني به ؟! »

فوجيء المبروك بالسؤال وهو يرى يد الفارس على مقبض السيف :

« وماذا أيضا يا سيدى ؟! .. ماذا أيضا .. أحضرت كل المال .. وهذا ما طلبته منى ..! »

مرت أصابع الضابط على الغمد وقال يؤنبه :

« لقد مضت ساعة .. أكثر من الساعة .. مضت وأنا امضغ والوك .. أكلت اللحم مشويا ومقليا .. والحبز طرية وباسه أكلته مع التين المجفف .. ثم أحضرت لي التفاح والرمان وحتى الحليب أتيتني به مع التمر اليابس اشتغلت أسناني شغلا صعبا حتى آلمني خرس العقل .. وأنت أيها الفلاح تحضر لي وتقدم .. أتريد أن يطحن فكي وتمضغ أسناني ويلوك لسانى دون أجر ومقابل .. أتعامل على اتعابي ولا تدفع أتعالي .. ؟! »

لم يعد لمبروك ما يمكن أن يعطيه ولكنه قام ذاهبا الى زوجته • شكها لها ثم عاد ومعه أقراط من فضة .. انحنى امام الفارس وقدمها له فى حزن •

بتبرم دس الزائر الفضة فى جراب وأضاف :

« - والمصحف الذى يقرأ منه ابنك ؟! .. نعم . المصحف . ما دمت تريده فلاحا نشطا مثلك .. يزداد كده دخل الولاية .. ما دمت تريده الى جانبك فلا حاجة له بعد اليوم الى القراءة .. يكفى انه صار يحفظ التين والزيتون ...! »

دمعت عين الصبي وهو يقدم المصحف الغالي لوالده . قام الضابط بسيفه الى فرسه يحمل المال والكتاب :

« نسيت أن أشكرك على هذه الوليمة الصغيرة .. وليمة فلاحين .. أنا أعرف الآن مكانك .. لن أخطئه .. قد أمر عليك مرة .. فى أمر آخر .. خبز عجنته شابة .. خبز العذارى له طعم معروف .. ربما آخذ ابنتك منك لتخبز لي فى بيتي .. عندها ستعفى من أمر الضرائب .. »

دام المرض مع المبروك منذ تلك الزيارة ولم ينته الحريف حتى مات .  
 والصبي وحده في الفلاحة يعزق الارض ويبيذر البذور مرتلا في ظل نخلة  
 سورة لا يمل من تلاوتها حتى بعد أن مرت سنوات على وفاة والده .  
 وعندما هطل المطر وحل الظلام جاء التركي للمرة الثانية .  
 وجد الصبي الذي صار رجلا ينتظره عند الكرمة الوحيدة .  
 كلاهما لم ير الآخر منذ مدة .  
 لم يتغير الزائر في شيء منذ المرة الماضية .  
 كانت له نفس الملامح واحتفظ بنفس الوقفة ويده على مقبض السيف .  
 وأما الصبي فقد تغير ..  
 توقف الفارس وأراد أن يترجل .  
 شدد الفلاح قبضته على مراو الفأس .  
 ابتسم الفارس هائلا بالفلاح ثم تقدم .  
 شدد الفلاح قبضته على مراو الفأس . وعندما صار الفارس أمامه هوى  
 عليه بالفأس ثم رفعها وهوى عليه بها .  
 تشرب الكرمة الدم فما يكذبك بعد بالدين .  
 تشرب الكرمة الدم عسى أن تشرب .  
 ونظر الفلاح الى المرج الحصب يحمل فأسا في انتظار ضيوف قادمين .

عبد الله الساعدي المغربي

شتاء عام 1984

## كوابيس

( 3 قصص قصيرة جدا )

### ① العنكبوت

كان الوقت صيفا . بعد منتصف النهار بقليل . وكانت الشمس تشتعل في الفضاء . فيلتهب الجو وتتكدس الحلائق في السقائف الظليلة والكلاب والقطط والدجاج والعيز . وبني آدم . كل هذه المخلوقات تتعاشر في دعة وسكنية . فتنام الكلاب فوق البرك الصغيرة التي يحدثها تساقط الماء من القرب . وغير بعيد عنها . تنتصب القطط متحفزة للخصام . - غير ان الكلاب لا تأبه لها . ويستلقي البشر في الرواق شبه عراة يسرقون النسائم بواسطة مراوح سعف النخل ... وكنت أسبق الجميع . فأبلس ثيابي بالماء وأستلقي قرب باب السقيفة .

يومها ! كان عيداً من تلك الاعياد التي لا تجدها الا في « بلاد الجريد » . لم أعد أذكر بالضبط هل هو عيد « عاشورا » أم « فرعون » . كل ما أذكره أننا ذاك اليوم - على غير عادتنا - أكلنا لحماً كثيراً . فقد ذبح أحد جيراننا خروفاً تقاسمه أهل الحي على أن يدفعوا ثمن اللحم بعد جني الصابة في الحريف ... وكنت شبعانا حد التخمّة . مددت رجلي فاصطدمت بالباب ، باب السقيفة ، باب كبير كأبواب الحصون القديمة . قيل ان أحد أجدادنا كان قد صنعه من جذوع النخل ليحصن وراءه نساءه واطفاله ... لست أدري يومها أي شيطان ركب رأسي ! فقد رأيت ( حين اصطدمت رجلي بالباب ) عنكبوتا يأسر ذبابة . عنكبوت أسود . قبيح . كان يمسكها بفكيه من خصرها ويحاول بقوائمه الامامية تحويل رأسها نحو فمه تركته يفعل . فحرك قوائمه بهارة وانقض على رأسها فحطمه . وامتنص دمها . ثم تركها تهوي في الفراغ الفسيح ...

عندما سقطت الذبابة فوق رجل أحسست بحزن شديد . وسمعت صوتا يصغر داخل طيلة أذني : « لقد ساعدت العنكبوت على قتل الذبابة ! أنت جبان ! لماذا لم تنصرا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ... » وكان العنكبوت يختال بين شقوق الباب متكبرا كجندي من جنود هولاكو المغولي . ويحرك فكيه في كل الاتجاهات . ويتحين الفرص للانقضاض على فريسة جديدة . . . فقررت مناصبته العدا . هكذا ! وصرت كلما اقترب من ذبابة أو حشرة أخرى الا ضربت الباب برجلي فتهرب منه الفريسة ويخبط وجهه بفكية حسرة وغیظا . لست أدري كم دامت لعبتي تلك مع العنكبوت الى أن رأيت فراشة صغيرة تطير وتحط بالقرب منه . قلت : فلأتركه يتشهاها مدة حتى يسيل لعابه ثم أخبطه بعذائي . واستعد العنكبوت للانقضاض عليها ... ورفعت يدي بالخذاء ... لكنني تجمدت كالتمثال . فقد رأيت العنكبوت يكبر ويكبر حتى صار في حجم الفيل . ثم فتح فمها كالمفارة . وصاح بصوت كدوي الطبل : « لا بد أن لحكم شهبي ! فلتكن غدائي في يوم العيد ! » وبسرعة رمى فكين كأنهما الحبال الفليطة نحو رقبتي !

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عندما فقط بدأت أصرخ ...

## ② رجل من ذهب

كان الجو عادئا تلك الليلة . النجوم تتراقص في السماء . والقمر يتناوم في دعة وخمول . ومن حين لآخر يشق الفضاء شهاب فأغمض عيني وأستعيد بالله من الشياطين . وكان «سعود» نائما بالقرب مني فوق سرير من جريد النخل . وكنت بين اليقظة والنوم عندما رأيت السماء تنفلق شطرين وينبعث منها نور يعشي الابصار . سقط قلبي على الارض . وامتلات رهبة وخوفا عندما سمعت صوتا ينادي من السماء : « إنها ليلة القدر ! اطلب ما بدا لك يا صاحب السعد فباب العرش مفتوح ! »

عندما وضعت يدي على « سعود » لأوقظه . كان كل شيء قد انتهى . وعادت السماء كما كانت . نجوم . وقمر . ونيازك تشتعل وتنطفئ في غمضة عين . وضعت يدي من جديد على كتف الرجل . حركته . لكن الدهشة عقدت لساني . بحثت عن الكلمات فلم أجدها . حاولت الصياح

لكن بدون طائل . لقد صار لساني قطعة من خشب . نظرت لرجل النائم جنبى وبدأت أفحصه . لقد تحول الى قطعة كبيرة من الذهب الخالص . رجل من ذهب نائم بجانبى فوق سرير من جريد النخل ...

هل أنتم مستعدون لمواصلة الحكاية معي ؟

إن قلتم لا . فمع السلامة .

وإن قلتم نعم ! فأنا أدعوكم الى حل هذه المشكلة معي ! ماذا سيفعل كل واحد منكم لو وجد نفسه فجأة أمام ورطة كهذه ؟ زوجتك ( أو زوجك ) يتحول فجأة الى قطعة من الذهب الخالص .

لا تقولوا : إن هذا لن يقع ! لقد اتفقنا على مواصلة الحكاية معا . فكروا معي فى حل للمشكلة ...

سأترككم تفكرون وسأذهب أتدبر أمري مع زوجي . أحضرت صندوقا . وضعت فيه الرجل وأحكمت إغلاقه ثم وضعت في ركن من أركان البيت . وفى الصباح عندما سألتني الجيران والاهل عن « سعود » قلت لهم إنه سافر يبحث عن الرزق فى أرض الله الواسعة ...

وأنتم ماذا قلتم ؟ هل وجدتم حلا لمشكلتي ؟

- نعم ! أنا محظوظة !

- كيف . يا أصدقائي ؟

- أبيع له صائغ يحوله سبائك من ذهب . ويصنع منه تحفا جميلة تزين صدور العرائس وأصابع الاغنياء !

- لا يا ناس ! هذا فظيع !

- نعم ! أنا رومانسية ! ولا أستحق هذه الثروة الطائلة التي هبطت علي فجأة من السماء !

- لكنه ابن عمي ! وزوجي ! كيف أفرط فيه بهذه السهولة ؟

- أتزوج غيره ! وأشتري قصرا وسيارات . وخدمات وحشما . وأصدقاء جدد ! يتمسحون على عتباني ويقبلون أطراف أصابعي !

- قلت لكم : لا ! أنا أرفض هذا الحل ولن أبيع ابن عمي ولو بمال الدنيا كلها !

— أنا غنية ! قولوا ما شئتم ! لكنني لن أبيع ابن عمي ...

ولم أبعه لتجار الذهب ! عركته ممدًا في الصندوق سنة كاملة . اثني عشر شهرا قمريا . كنت خلالها أبدل له ثيابه . وأضع له طعامه وماءه . وأحكي له عما يدور في البلد :

حدثته عن « فاتن » التي طلقت « محفوظ » وتزوجت من رجل غريب عن القرية . وعن « البكري » الذي باع أرضه وسافر وراء البحور السبعة ! وعن « غول » ينزل علينا من السماء . يخطف كل ليلة طفلا من حضن أمه . يأكله أمامها ! ويطيّر ...!

وكان ينظر إلي بعينيّه الذهبيتين ولا يقول شيئا ...

إلى أن جاءت . ليلة القدر الجديدة . أخرجت « سعودا » من قبره . وضعتّه بجانبى فوق سرير من جريد النخل . كان كالثائم من شدة التعب . وكنت مهددة من طول الانتظار ... وكان الجو هادئا . النجوم تتراقص في السماء . والقمر يتناوم في دعة وخمول وكنت بين اليقظة والنوم عندما رأيت السماء تنفلق / شطرين ويقبع منها نور يعشي الأبصار . سقط قلبي على الأرض . وامتلات / رعبا عندما / شلتعت / ضلوت / أناادي من السماء : « إنها ليلة القدر أطلب ما يدلك يا صاحب السعد فباب العرش مفتوح ! »

عندما وضعت يدي على « سعود » لأوقظه كان كل شيء قد انتهى . وعادت السماء كما كانت . نجوم . وقمر . ونيازك تشتعل وتنطفئ في غمضة عين ! وضعت يدي على كتف الرجل وحركته من جديد . تلملم في مكانه وغمغم : « ماذا يا امرأة ؟ هل طلع الصباح ؟ »

### ③ معاتيلدا

« لا أريد أن أموت ! لا ... لا ... لا ... الحياة جميلة يا أصحابي ! الحياة جميلة ! »

كان سمير يصرخ وكان الزبد ينتظير من أشداده . جاءت أمه تجري . وجاء أبوه وأخوه . عندما دفعوا باب البيت وجده ملقى على الأرض أسود الوجه ، واجما ، كأن صاعقة سقطت لتوها فوق رأسه !



خرجت أمه تجري . بحثت عن المبخرة الكهربائية . أشعلتها . وضعت فوقها كثيرا من البخور ورجعت الى البيت تقرأ المعوذتين وتحرق وتبسم . بينما كان والده يسند رأسه الى صدره ويقرأ بصوت خافت آيات من القرآن ...

— من فضلكم اتركوني وحدي !

ورد عليه أخوه :

— هل احضر لك الطبيب يا « سمير » ؟

— لا يا أخي . أنا لست مريضا . فقط اتركوني وحدي !

وخرجت أمه . وخرج والده . وبقي معه أخوه . اقترب منه . جلس بجانبه على السرير وسأله بلطف : « مابك يا سمير ؟ لماذا كنت تصرخ كالجنون »

قال : هل تذكر « ماتيلدا » ؟

— نعم ! « ماتيلدا » ما زلت أذكرها .

« ماتيلدا » سائحة أمريكية ! أحبل من « مارلين مونرو » أشهى من عسل النحل . أطول من سارية سفينة ! أبهى من القمر ليلة تمامه . تعرف عليها « سمير » بحكم عمله في واحد من أفضل النجوم الاربعة . نامت في أحضانها عن طواعية . وغاص في بحر عينيها حتى الاختناق ! ثم سافرت وتركته يحلم بأيام الجنة !

— مالها « ماتيلدا » ؟ هل ماتت؟

— لا . لقد جاءتني منها رسالة .

— مبروك ... ألف مبروك ...

— قالت في الرسالة إنها مريضة بالسيدا !

— ماذا قلت ؟ الـ ... سيـ ... دا ! ولكن أين هي الرسالة ؟

وبحثت عنها فوق الطاولة . تحت السرير . في محفظته . في حقائبه . داخل جيبه . في كل مكان . ولكنني لم أعثر على أثر .

— أين هي الرسالة يا « سمير » ؟

— إنك لن تجدوها ! لقد كنت أحلم !

ابراهيم درغوث

— أم العرائس —

## حتى لا يفر الحلم

غرق في السرير متفائلا • قد يخضر الحلم • وانسبح بصدرة العاري  
وأشياء الطفولة .. تمدد .. ألح عليه التعب بما يسوء • ونخر مفاصله ..

تفاصيل كل ما حدث لا تزال عالقة بذهنه .. أخبار الرجال الذين قرأ  
عنهم في الكتب جعلته يقارن • ويفكر في المصير ..

كيف استطاعوا أن يلقوا بأنفسهم هشيما وسط أقدار لم تكن  
أقدارهم ؟! ..

ووجد نفسه مصلوبا على جدار الليل ، لا يقصيح عما يريد .. قد يكون لا  
يريد شيئا على الإطلاق ..

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

توسل جدته أن تقطف أزهار السماء وتأتي .. قد يقدران معا على خلق  
مسرة للسمر ..

الابطال الذين لا يعرفهم التحقوا بمملكة الغياب ...

خلق في الخرائب كلها .. وتعلّى عمرانها ..

ليلة أمس أصاح الى الصمت والسكون .. قد يمتطي صوت ما أمواج  
الائيسر ..

وثرثر يحدث الجدران .. ولانه لم يبك اعتقد انه لم يعد في حاجة الى أي  
شيء ...

وخضته ضحكة تشي بأن كل شيء قد استوى في ذات اللحظة بضده ؟ ..  
ولم يصادف أن يتحول الى شرس ...

... أحصى المباحج أياها آقية ... أعياد مستمرة والعباب مبتدعة .. فجأة  
ألغى نفسه يرتجف متسائلا عن الرجال الذين أخذتهم عرائس الاحلام . لقد  
وردت أخبارهم مبتورة .. وتناقلت اللسنة ما توارد ... وأكدت جدته أنهم  
أصحاب أحلام لم تكتمل .... وبات على الطوى واستيقظ على الطوى ..

وزاده أنه يشك فيما قيل ...

تساءل في ارتباك : لماذا هو مشغول بما لا يمكن أن يشغله .. واعتقد  
للحظة أنها لعنة الرب فنهض يهشم مصابيح الكهرباء ... حماقات كثيرة  
ارتكبها .. ولم يشبه غم مهما اغتيلت أفراحه ، ومهما انتحرت ضحكاته ...

كان يحصى كل ما يفقد أياها اليه ترد المباحج ..

تنقل بين وسيلة وأخرى يرصد لحظة نعاس ... منذ ليال لم ينم ...  
كابوس داهمه ذات ليلة غابرة ... ووجد نفسه يصرخ بعنف ويرتعد بعنف.

دقت الساعة تعلن أن الليل سيد المساحات .. أجفل .. ابتلع ما بقى  
من الحبوب .. دفن رأسه في صدره ، وتدفّر جيذا ..

وانشغل باحساسه .. نسي ما كان يذكره جيذا .. وتذكر ما نسيه ..  
تذكر مواضع أخرى .. وتذكر نساء يفقدن النضارة بيسر عجيب .. واتسعت  
خلاياه للحزن والقلق .. واستيقظت الاصداء تتجاوب .. هدير محركات  
يرجه .. اهتز .. انتفض .. صوت انفجار بعيد .. لمعان غريب .. ضباب يرتفع  
دوي .. وأصوات تتوعد مجالعة .. صوت مذبذب يلهث ببيان خطير .. هدير  
شاحنات تسلب الأمن .. وولولة وشبه نحيب .. امتحن قبضتيه .. وواضب  
يلازم العدا .. صاح نائرا .. غلظة الزاد ارتفعت رائحتها خائفة .. ووثب ..  
وجد نفسه على الأرض .. قهقه : أى حلم فظيع ، لم يعد ينقصني سوى هم  
الكابوس .. فلا أهبج ١٩ ..

في الشارع وجد الفضاء أرحب .. كان الليل قد علق صولجائه الادهم  
واعتل عرش الفضاء .. نامت الاشياء توحدها العتمة ، وهجعت الاصداء ..  
تمنى أن يملك كل الفضاء .. غير أنه نسي عدقه ، فكتم حاله ، وانعطف مع

الشارع .. مربع من ضوء لاح من بعيد .. يكشف عن ثعبان تسلق جذع  
كأس والتف .. وفجأة تعقدت الامور في ذهنه .. تشير خطواته على الرصيف ..  
ثم تقدم بهدوء ... لن يزعبه أن يكون مدينا ... إنه لن يصفو من الكدر !! ..

واستدق سؤال ..

أكد الطبيب له انه غير مصاب .. واستقرت العقاقير تعبت بأعضابه ..  
فقد تجود الذاكرة بحلم منسي ... وقد تتفجر الرواسب ، فتأتي كشبه  
حلم لذيذ ..

وانزلق في السرير متفائلا ... ولم يردد أحد اسمه ... لو تنفض الجدة  
غبار الايام وتأتي ... ولكنها تحمل مفاتيح المدن ، وبيوت المؤن !! ...

... أمس زجره الصيدلي ... مد اليه الوصفة وألح برجاء .. صاح في  
وجهه : لست المسؤول عما يحدث لك .. جراثيمك تنمو باطراد مهول ...  
وتغير لونه ... ثرثي بجملته مبهمه بتواعد المجهول ... واندفع يواجه  
المصير ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

واحتلت الاوجاع .. انفجرت شفتاه .. واطلق شماريح اللعنات تفرقع  
في الفضاء ..

هل من فجر يلمق أثخن الجراح ؟؟

كم الساعة الآن ؟؟

طفولة آبهة .. الليل يشق سبيله عبر النيام .. وحكايا تنهض من رقاد  
التاريخ .. هامات محترقة ...

انتظمت خطاه ..

تمنى أن تمتد كف تزيح الظلام ... وانحدر يسأل عن الفجر .. الانتظار  
حاد .. أحس أنه بحاجة أكيدة الى شمس أكبر من شمس الطفولة ...

كانت ليالى الشتاء من اللحظات الفريدة .. كانت دقائق فاتنة الدفء .. تشده الى رداء الجدة والليل .. وكان الليل يمدده بأسرار النعيم .. لا يدري أين غارت كل تلك الاشياء التى كانت تحولها الجدة الى كنوز ثمينة ..

وتاق .. لو تنفض الجدة غبار السنين وتأتى مع الفجر ، أكثر نضارة ، تحمل اليه مفاتيح المدن الأسيرة . فيستعيد طفولته الآبقة وينحدر عبر النيام يهتف بأسماء الرفاق ... يخاتل خطواتهم تحت مصابيح الكهرباء .. صائحا : مزيدا من الضياء ...

- تفضل ..

وجد نفسه أمام دكان صغير .. دس يده فى جيب سترته وسحب ورقة نقدية ..

- علبه كبريت .. قالها بصوت متهدج ..

- لقد تقدم الليل كثيرا .. والنوم عصاة من حرير لمن هم فى سنك .

- من حرير أو من قطن ... انها سلعة باتت تفقد رواجها فى الاماكن المعهودة !!

- حسبنا الله ونعم الوكيل يا بني !!

- الاشياء بمقاديرها يا عم !!

ثرثر العجوز بحملة مبهمه .. ومد يده الى الزائر مصافحا ..

وظلت الابتسامة عالقة على شفثيه .. قد يكون ذلك على خطأ فى التفكير ..

ولكن فى قرار نفسه اعتقد انها ضمان تحالف وود ...

على امتداد المسافة المتبقية فكر أن يعود الى الدكان .. وأمام بيته تساؤل : لماذا لم ينتظر الفجر عند صاحب الدكان ؟؟ أنصت للوصية لحظة .. ثم اندفع يعالج قفل باب ...

شق سبيله عبر الاثاث الصامت ، ليلة أمس هشتم مصابيح الكهرباء ..  
كان في ذروة الغضب .. ما الذي شنج اعصابه ليلة أمس ؟؟ حين لا ينم  
يجد نفسه على حافة الجنون ... خلا البيت مما كان يدعو الى ان يظل عامرا..  
وداس على وحدته .. ولم يبك ...

دس يده في جيب سترته يبحث عن علبة الكبريت . أطل الشيخ  
يتسسم .. ابتسم يرد التحية .. وغمره الضحك .. لم يعد وحيدا .. تقدم  
مترنحا يعبد طريقه الى الفراش ...

في السرير لم يعثر على شيء أنقى من زمن الطفولة .. ألفى الحرمان  
بتسلطه الدائم أبسط المسرات ... لو كان لا يزال طفلا لسأل الله كيف  
يتدفق الحب والالم من نبع واحد ؟! .. ووجد نفسه يثير الايام المحنطة ...

وعربت الشياطين المحبوسة ... من جديد ... تسأل عن الرجال الذين  
أخذتهم عرائس الاحلام .. وردت اخبارهم حكايات مبتورة تعج بالمغاليق  
والاسرار .. حكايات تشده باعجاب مثير ...

الكتب التي قرأها جعلته يتفحص عدته .. ويتربص الحلم الذي قد  
يتجسد .. وفجأة غادره النعاس ...

انقلبت الايام باهتة الوهج ، تباعدت الاعياد ، أقفرت الدروب من  
الاطفال .. وفقدت الحجرة ما كان يدعوها الى أن تظل عامرة .. ومرت الرياح  
تكس المعابر والممرات وترش الصمت ... صمت يشي بأنه يفقد الكثير ..  
وأن الحلم الذي ينتظر قد يفر قبل أن يستوي .

مات نسخ الاعواد .. وثبتت أعمدة الحجر تسبيح الحدايق ... فأنحنى يقى  
ما تبقى من البراعم البرية .. ويصلي من أجل ما كان يضيع ...

... يوم مولده زغردت نساء العشيرة .. ونثرن في حضن أمه أشياء  
ثمينة .. تحلقن لثلاث ليال يخضبن رجلي أمه ، ولسبع يتنجان بالطالع ،  
ويتشاورن في الاسم الذي به قد يسمى ... وعفنن لأبيه أنه المنشود  
المنتظر ... فتمايل وتبختر وأنحنى على المهد يحمل بين كفيه كتلة اللحم

الدافئة ... وتهدج صوته .. : بورك فيك يا خيرة النساء .. أخيرا جاءنا  
المهدي الهادي ، ورفرفت الزغاريد تعتنق الاجواء فرحا ..

نقل أبوه البشرى للرعاة .. وتردد صدى الزغاريد طويلا ...

فما الذى عفر الوجه ؟! .. وما الذى لطف الغرفة ؟!

مد أصابعه يتحسس دائرة الوجه .. غاصت أصابعه .. أخايد عميقة  
حزنتها السنون تنحدر الى مستوى النحر .. شيخوخة باكرة تهدم الخلايا ...

قال أبوه : إنا نحرنا من الانعام ما لا يعد .. وإنا مددنا الموائد للمحروم  
والمظلوم وآثرنا المسكين ، وآوى الى ديارنا التائه وعابر السبيل .. ولم  
تخمد لنا نار .. جعلنا الفرحة تدق أبواب الثكالى والمفجوعين !!

حاول أن ينام .. لكن نبض الآلام عنيد ...

فصاح : بمن ألوذ ؟!

رحل الحلم ، ولم يصادف أن يتحول الى شمس ...  
ترى ما عسى أن يكون فى أحشاء اللحظة القادمة ؟! .. وتساءل عن سير  
الابطال .. عن الحكايات .. التي تشمأكن فضوله .. باستمرازا رهيب .. عن استمرار  
الليالى الدفينة وعن أشياء تشده بعنف لاجتراف التجربة ..

ولكن الاخبار الواردة عن الرجال الذين أخذتهم عرائس الاحلام تجعله  
يفكر من جديد .. وحين يفكر لا مناص له من ارتكاب الحماقات ... حلق فى  
خراثبه .. أكد ابتهاجه ... واطمان الى كونه سيد الفضاء .. قال ما لم يقل  
ليليل الجاثم والصقيع .. وأوت اليه أحلامه السابقة عابقة عاتبة ، وانتصبت ..  
طالعه أجناس لحقات مأكرة ... ثرثر بحماس .. صرفها بعيدا ، وانهمك  
يرسم المسار ..

حزمة من أعصاب تتمرد على قانون الاقدار .. وانسلخ .. الالاه لا ينحني  
والخالق لا يهاب ... وارتقى يتسلق الافق صاعدا ... فانداح قرص  
أحمر .. شمس صباح وليد .. شمس بالحجم الذى يريد .. بالدفع الذى  
ود .. بالوهج الذى تمنى .. شمس تتخلخل ، تؤجج الاحساس الذى خبا ..  
تعيد المفقود ، وترد المسلوب ...

**خديجة الجويني**

محمد عبد الرحمان يونس

## رحيل النهارات صوب البحر الاسفلتي

النهارات المرتحلة صوب الاسفلت تحمل ضيائها الوردى قاطعة صحراء البدو .

وقف آخر النهارات بين جمهور المودعين المحتشدين حول أطراف الساحة العامة .. ملم ضيائه باكيا ، وهو يعانق آلاف البشر الراكعين فى ساحة المدينة .

قال رجل لزوجته : لم ترتحل النهارات مسرعة ؟

- العالم كله يرتحل يا عزيزي ، هذه هى الاوامر الجديدة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أية اوامر ؟ اوامر .. اوامر .. تعليمات .. لا شيء غير التعليمات الفارغة .. أراك فقدت عقلك !

- منذ متى كان لى عقل حتى أفقده ؟ ولدت مجنونة ، وأعيش ضائعة فى ظلك ، وساموت مجنونة .

- أى ضياع هذا الذى تتحدثين عنه ؟ امنحك الحب والدفء والياقوت والمال ، قولي : هل شاهدت رجلا كريما منلي ؟

أرخت المرأة صفائرها ، وسرحت تتأمل قرص الشمس البرتقالي وهو يعانق صفحة الماء .

- لماذا ترتحل النهارات هكذا ؟ لماذا يبكي الناس ؟ لماذا تحنى أشجار السرو عاماتها دائما ؟ لماذا تكسر أجنحة الحمام ؟



- صرعتني يا عزيزي ، كيف لي أن أجيب عن « لماذا لك » هذه ؟ :

اسأل غيري ، ما عدت أعرف أبعد من أنفي .

النهارات الوديدة التي عودتنا أن ترفع هاماتها تقبل آخر رجل ، وتعانق آخر رأس امرأة ، ثم تمتطي صهوة جواد أبيض يخفض رأسه لاثما أرض الساحة المغطاة بالغبار وجموع الناس .. كل النهارات الى رحيل .. لا وقت الا لضباب كثيف يسد منافذ البيوت وبوابات الشوارع .. هكذا الحياة .. نهار يرتحل وظلام يحل .. لماذا النهارات فجأة يا عزيزتي ؟ قلت لك ، لا أعرف ، بالله عليك اتركني .. رأسي ينور كهذه الكرة الارضية ، اسأل غيري من العارفين : الوالي .. السلطان .. رئيس الجند .. قائد الحامية .. كلهم يعرفون ، أما أنا فقارعة خاوية .. تأخذني موجة ، وتجاوبني أخرى ، بحر متلاطم غارق بالاسفلت والقار .

- رأسك هذا التكور بطيخة صفراء براقة ، مخشورة من الداخل ، تمتصها الديدان .  
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

- من فرغ رأسي غيرك ؟ قلت لك : لا أعرف لماذا ترتحل النهارات . ولماذا تنقصم الاشياء . ولماذا هامات الرجال تلامس ماء البحيرات الطينية . أرجوك .. دعني .. ارحمني يا أخي !

- رهيب وقع الحياة .. تستبيحنا .. تصطاد كنوزنا .. تقطع رؤوسنا .. النهارات الكثيبة مستباحة ، وبكارة الارض العاقم ترفض أن تفض . لماذا اثناء النساء مقطوعة ؟ لماذا أنوف الرجال مجدوعة ؟ لماذا النهارات الاسفلتية تحتضن طمي الارض ؟ هل لك يا زوجتي في جواب شاف ؟ في المستقبل المحتجب .. يلتف الناس مثلاصقين .. لا أحد يعرف زوجته .. لا زوجة تعرف بعلمها . تحت الحيمة الممتدة حتى بوابات الربع الحالي يضاجع الناس أنوثة الارض .. يكون وينديون حظهم العاثر ، وفي المساء يحصون نجوم السماء وأقمارها .. ينقسم القمر بهالاته الى ألف جزء .. تنوح الاجزاء .. تتعانق .. ترتحل النجوم .. يرتحل القمر .. تفرق صفحة السماء في أسى .. يقترب منها نئين بتسعة أنياب .. تفرق في مساحات الدم .. تتعفن البجثة .. تخرج

روائح متداخلة .. رائحة مواخير مختلطة برائحة بول قديم .. تزحف تنينات وتغرس أنيابها في ضلوع الجثة ثم تبتلعها مرتحلة .. لماذا النهارات المضيفة ترتحل يا زوجتي ؟ لماذا العذراوات يخلعن حزام العفة ؟ لم الايام تفرغ رماحها في الافئدة ؟

« كان الرجل فيما مضى اذا عشق الجارية راسلها سنة ، ثم رضي أن يمسح العلك الذي تمضغه ، ثم اذا تلاقيا تحدثا وتناشدا الاشعار ، فصار الرجل اليوم اذا عشق الجارية لم يكن له هم الا أن يرفع رجلها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة » (\*) .

لم الزمن يشهد أبا هريرة على مضاجعة الحجاج للمدن المسجونة بين قضبان التاريخ الهش ؟ ما أن تجوع الحرة حتى تهب فخذيتها للسيد ، وما أن يرتوي السيد حتى يستدعي جعفر والنواصي ليضاجع ذاكرتهما .

— لماذا تحمل الريح الدم المسفوك وتقدمه على طبق التاريخ ؟ لماذا التواريخ تتشبع ثم تنقلص وتتلاشى على طبق التاريخ ؟ هل لك في جواب شاف يا عزيزتي ؟  
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

تقدمت الزوجة ، نزعتم قميصها وتمددت على السرير . كان صدرها خارطة متاحة ينشر رائحة حليب مكتنز منذ أقدم العصور .. ابتسمت ونادت زوجها : تعال يا عزيزي أقبلك .. احتضنك .. أسقك لبنا طريا .. أفض ذكورتك .. أعري دماغك هذا الهش المتآكل .

رهيب زحف المرأة نحو رجلها .. رهيب صمود الرجل .. احتضنت المرأة زوجها الذي كان يراقب مشدوها رحيل النهارات الاليفة صوب البحر ، ثم استسلمت لنوم هاديء طويل .

محمد عبد الرحمان يونس

فرنسا - باريس

30 جويلية 1982

(\*) من الامتناع والموانسة لأبي حيان التوحيدي .

## العقاب

أنا الرحيلي بن ثابت الصخر متوجه الآن وفي هذا اليوم الرمادي الماطر إلى اكمال عمل ما ٠٠ عمل بدأته منذ مدة وعلي أن أنهيه . أنا لا أحب التوقف قبل خط الوصول . أريد دائما دفع الاشياء إلى نهاياتها المختومة .

قطرات المطر تضرب بلور السيارة . سياط مائية تهوي على الصفحة الزجاجية ، ترسم خطوطا متعرجة متداخلة ، تستقر أسفل البلور ، تنساب على الحافة المائلة . وجه السماء حالك متجه . سحب سريعة تمر ، سحب أخرى تلاحقها ، موج رصاصي متلاطم يخف تارة ويتكاثف أخرى . السيارة تشق الضباب . تشير رذاذا عند ارتطام العجلات بالخرق . ورغم ضوء الفوانيس فإن ذلك الجدار الرخامي ما يزال منتصباً في نقطة ما من الطريق .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قلت لأمي في ظهيرة يوم قانظ ، وأنا أتابع عقاباً يحلق عالياً يرقب إحدى الدجاجات ، « أريد بنت السولمي ، بنت السولمي » وكانت أُمي النحيبة تبدو وهي في ثيابها الفضفاضة وكأنها فزاعة طيور في حقل جمع محصوله ، وحركت شفيتها وهي تنظر بمرارة إلى أبي المريض المتكوم على حصير متهري تحت شمس دافئة ، ومن حين لآخر يستشرف نظرها بنأية ضخمة في الطرف الآخر . إنها تقيس المسافات بيننا وبينهم . وكان العقاب ما يزال يحوم ناشراً جناحيه محدقاً في فريسته بعينين ثاقبتين . تلتقي عيناها بعينه . بريق غريب يصدر من تينك العينين ليستقر في داخلي . خيوط لا مرئية تمتد بيني وبين هذا الجارح اختلاجة ٠٠ ولما انتهت كان العقاب يهوي على فريسته يفرز مخالبه القوية في جسدها ويرفعها إلى الفضاء ..

أبرة عداد السيارة تميل تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال . لا تستقر في نقطة معينة والسيارة بين الحين والآخر تنزلق وتميل فأرجعها بلحسة خفيفة من المقود إلى الاتجاه الصحيح . أضواء السيارات تغشي عيني . في إحدى

المنعرجات لمحت رجلا قصيرا يسرع المشي والماء ينزل على وجهه البربري وكدت أصبح بأعلى صوتي « السوالي » ! ولكن الرجل غاب وراء الضباب والمطر . السوالي رجل قصير ممتلئ ذو وجه قمحي يميل الى الاستطالة وجبهة بارزة وعينان ضيقتان دائمتا الحركة وصوت حاد مضطرب ، وكنت حين أشاهده تقفز الى ذهني صورة أرنب ويستبد بي شعور غريب للانقراض عليه .

أنا أكره السوالي كرها لا مثيل له . أجزم أن هذا الكره ولد معي ، ورضعته في لبنان الأم ، وترعرع معي وصرنا توأمين لا نفترق . حتى في الاحلام كان السوالي يطالمني بوجهه الارنبى ، وكان ذلك كفيلا بإثارة ذلك الشعور الغريب .

قطرات المطر تتجمع . تكون غدراناً صغيرة . ترتعش الغدران تحت وابل القطرات . تفيض . يسيل الماء في سواق صغيرة . دخان السجارة يصطدم بالبلور . تتعكر الرؤية . تصير السماء أكثر كآبة . تمتد كفي لتمسح البلور بحركة دائرية . أعترف أنني لا أحبها ( أقصد زوجتي طبعاً ) ولا فائدة في التأكيد على أنها لا تكن لي المقدار حبة خردل من ودي . نعم . لا أحبها ورغم ذلك تزوجتها . إنها فريستي ، فكما يصطاد السبع أو العقاب فريسته اصطدت أنا بنت السوالي . لقد كنت مدفوعاً إليها دفعا . وكنت موزعاً بين قطبين : قطب يقول لى : « دعك من كتلة اللحم ليست هي التي تريد » وكان القطب الثانى يدفعني إليها ويقول : « لقد حان الوقت لتحقيق انتصارك » وكانت الدعوة الى الانتصار أقوى ..

يتمركز في جمجمتي قبو طويل داكن ينفتح على مشهد طبيعي . تظالمني صورتى وأنا يافع ضمن مجموعة من أترابي في سباق للعدو . يتجاوزنى البعض . أمد رجلي عنوة بين الساقين . يسقط المتسابق ويتخلف . أغرر بهم ليلتفتوا والحق بهم وأتجاوزهم . أريد قصب السبق لي وحدي . أجعلهم يكون واضحك عليهم . أتلذذ برؤية دلائل الحيلة والفشل بادية على وجوههم . فى الفصل أوههم أن ما نوصلوا اليه يعتبر نتائج خاطئة ، فيعودون الى معادلاتهم وأرقامهم يعدلون بها وبذلك أغلظهم أفوت عليهم أعدادا جيدة وأخرج من الفصل وكان شيئاً لم يقع . المهم انى لببت نداً مجهولاً

فى داخلى • ضبطنى المعلم يوما ألوث قميص طفل يجلس أمامى • القميص بتميزه وجدته وألوانه يجذبنى ويدعونى الى أن أمرر عليه أى شىء : قلم الحبر ، صبغة الألوان ، شفرة حلاقة . تلقيت الصفعة ولم تنزل دمعة واحدة ، بل بقيت لحظات أحرق فى عيني المعلم أحسست به يزرع بنظراته • يضطرب • تتبعثر الكلمات بين شفثيه ••

قالت لى مرة ، وكأنها تشعرني أنها تفهم حركاتي وخططي : « طريقة ذكية للثأر والاذلال . وشبهت نفسها فى كثير من المواقف بالحمامة التى تواجه عقابا . وصمت لأزيد فى درجة انفعالها . وقلت فى نفسي : « من أطلقها على كل حال . الافضل أن لا تشعر بأى نوع من الانتصار » .

تمتد السيجارة الى فمي . امتص الدخان . أحس به يسري فى جهازي العصبي . أنفثه على مرات . يندفع لولبيا ، ولما يصطدم بالبلور يتراجع منتشرا فى جميع الاتجاهات . الدخان سحب صغيرة . تتماوج . تتمازج كأماوج فى ليلة عاصفة . وسحب فى الداخل . سحب فى الخارج . البرق ينقدح فى لحظة ويخمد . يفشل فى تبييد الغيش الجاثم على الدنيا .

قبل أن أخرج من المسكن أردت فى باطنى أكثر من مرة « لن يكون هذا اليوم عاديا » . مللت ذلك الشارع الكبير ذا الأشجار الداكنة والبنائيات الرمادية العالية والاكتشاك البائسة . لن أعرج على ذلك الشارع الفرعى ذى الحركة الكثيفة بسبب المحلات التجارية المنتشرة على جانبيه والناس فيه يمشون مسرعين يعيونهم البلورية • مكائن تلهث وراء المجهول • لن أدخل تلك البناية القديمة ذات الجدران العالية والنوافذ الضيقة لأقضي أكثر اليوم هناك .

شبح رجل يحمل مطرية يمر فى الجانب الآخر . يصل المفترق ويقطع الطريق • تمر بجانبه السيارة • تكاد تدهشه • يقف الرجل مرتاعا • يتابع السيارة مشدوها وهى تغيب فى الضباب . يلقي نظرة أخيرة على ثيابه ثم يواصل سيره فى اضطراب .

خططت يوما للقاء مع السوالمى . ذهبت اليه وجلست قبالة . حدثني فى البداية عن أبى وقال : انه كان واحدا من الرجال الذين يعول عليهم فى كل الاوقات . وقال كلاما آخر فيه كثير من الاطراء والثناء . وكنت فى هذه

الانثناء أحاول أن أظهر أن هذا الماضي لم يعد يربطني به أى شيء . ومشيت  
أتحدث اليه عن القرية واقعا ومستقبلا بطريقة كالتى يتحدث بها السياسيون  
المحترفون . ولم أخرج من عنده الا وأنا موقن أنه صار عجينة طيبة .

زواجي من بنت السومالي لم يكلفني سوى لعبة صغيرة كالتى كنت أقوم  
بها وأنا يافع . كان السومالي حذرا فى البداية كالتعلب تماما ولكنني أوقعته  
فى الشرك . لا بد لهذا الحيوان الآدمي أن يدفع الآن . لقد قضى سنين طويلا  
فى الاخذ أما الآن .... صور عديدة بائسة تعود الى الذاكرة تذكى  
نارا حامدة .

شعور غريب يتخلل جمجمتي . يعيش بين ضلوعي . يتمطط فضاء  
قفصي الصدري . يتحول الى صحراء قطبية . تمتد من حين لآخر الى  
عنية السجائر . تمتص الشفتان الدخان ليخرج فيما بعد عمودا فى لون  
الرماد . سمعتها آخر مرة وهي تمر بجانبى تردد آخر اللعنات وموجة من  
السعال تخلخل بدنيا المكتنز . تختفي . يتردد فيحيجا ممزوجا بالسعال ،  
ثم يتلاشى . تلتهمه الريح تخرج أشجار الشوارع وأسلاك الكهرباء .

يتوَّعج وجهي وأطراف أذني هل هو البرد ؟ أم صدى الصفعات التى  
كنت أتلقاها وأنا صغير ..؟ كان أبى يصفعني بعنف وينظر إلي وكأننى  
شيطان صغير ، وأمى تؤمن على ذلك بالدعاء . وصحت يوما فى وجهيها :  
« اكرهكما ، اكرهكما » وركضت الى ضيعة السومالي أين يعمل أبى وطفقت  
أقلع نبات الطماطم والفلفل وأرفس برجلي الصغيرتين أوراق التين  
اليابسة . وعندما تعبت جلست تحت شجرة ظليلة ونمت . وفى النوم رأيت  
أحلاما مزعجة طائرا خرافيا بهاجمني ماذا مخالفه نحوى وبريق غريب  
يصدر من عينيه المتوهجتين .

أوقفت السيارة أمام المنزل الفخم . ما زال المطر ينزل والسماء تزداد  
كآبة . مشيت مباشرة نحو الباب الكبير والظلام يطبق قبضتيه على الدنيا .  
تصورت فى لحظة أن أفواها مجهولة تردد : « الرجيلي جاء » ، انفتح الباب .  
وكان أن قفزت الى ذهني فجأة صورة الارنب ...

أحمد الفهيري

جانفى / فيفرى 88

## لون دمي

كنا ثلاثة في غرفة ، في ذلك المستشفى المعزول ، الواقع في الطرف الغربي من المدينة ، عند أسفل مرتفع تمتد عضباته لتختلط بالجبل الشامخ الذي يسد الأفق الغربي ، لو كان المستشفى مبنيا فوق المرتفع ، جنوب موقعه ذلك ، لكان أفضل ولا يمكن لنزلائه أن يشاهدوا المدينة عن بعد من خلال نوافذهم ليزول سبب من أسباب الوحشة التي اذا اجتمعت بالمرض ، بعثت في نفس النزيل كآبة ثقيلة .

لكن المنخفض الذي هو فيه وأشجار الصفصاف العملاقة المرتفعة جنوبه والهضاب التي تمتد على جنباته من ثلاث جهات والجبل الذي ينظر اليه شذرا من عليانه ، جعلته في عزلة تنفرها نفس النزيل . خصوصا عندما يجن الليل وينظر المريض من خلال بلور الناقذة فلا يرى سوى الظلام المطبق ويخيل اليه أنه في مكان قصي . كنا ثلاثة ، لا فرح يفرحنا ولا بحر يؤنسنا بصمته ولا موج يطرق بابنا ، كنا ثلاثة والضجر رابعنا ، كل شيء في الغرفة كان رتيبا وثقيلا على النفس ، والساعات كانت تقتلنا وتصيبنا بالدوار كلما فكرنا فيها . لا شيء في تلك الغرفة تأنسه النفس وينشرح له خاطر .

لا شيء غير صمتنا ومواجهتنا التي نلوكها من الصباح الى الصباح ومن الليل الى الليل ... إنها الساعات تأتي أن تزول وتتركنا الى أحزاننا ووجدتنا ، الساعات التي بوزن الألم تأتي الا أن تصيب أنفسنا بوجعها وتقتلنا قطرة قطرة ، انها الساعات تطرق رؤوسنا كناقوس لا يسكن .

كنا ثلاثة وكانت الغرفة قفصا يمنع الليل من المجيء الينا ويمنعنا من الخروج للقائه ... من قال : اننا لا نحب الليل ونسماته الطرية القادمة من أماكن بعيدة تتوق اليها نفوسنا التي تحس بالقيد ؟ اذا كان الممرض الذي يزورنا من حين لآخر ليناولنا الدواء هو الذي قال ذلك فهو كاذب لانه لا يريدنا أن نخرج . يقول : انها تعليمات .

كان الليل يصلنا عبر بلور النافذة . فنهيم فى سواده بقلوبنا ولا يصلنا منه غير الحزن ومزيد من الوحشة .

كنا ثلاثة ، لا صديق يقصدنا ولا قريب يطمئن علينا . جمعتنا غرفة واحدة وحال واحدة .

حدثني أحد الرفيقين ، وهو كهل تجاوز الخمسين ، وجدته ممددا فى الفراش ، لا يظهر منه الا الوجه الذى كسسته حبة يغلب عليها البياض نبتت فى فوضى وكثفين فيهما حفر كثيرة ، يشرح ظروفه ، لم أسأله على شيء ، لكنه أراد أن يفتح الحديث معي :

- مضت مدة وأنا هنا وزوجتي وأبنائي لم يأتوا لزيارتي والاطمئنان علي . أنا متأكد أنهم مشغولون علي ولكن شيئا منعهم من المجي . أبنائي يشغلون وظائف هامة . هم ثلاثة وكلهم متزوجون ولهم أطفال أصغرهم يشتغل منذ ثلاث سنين وهو الوحيد الذى لا يملك سيارة . هم الذين جاؤوا بى الى هنا للتداوى . وقد طالبت اقامتي ولم يوافقوا . أنا هنا منذ مدة طويلة . لقد جئت قبلك بكثير . أنا مشغول عليهم وعلى أمراتي . انها وحيدة بعد أن خرجت عنها . أنتم الشباب تكرهون البقاء بمنزل الابوين بعد الزواج . أبنائي يملكون مساكن محترمة .

قلت له أهديء أحزان نفسه

- لا تشغل نفسك . فلو حدث مكروه لا قدر الله ، لهبوا لاعلامك هم مطمئنون عليك هنا فى رعاية الأطباء ولن يغير مجيئهم شيئا .

قال الرفيق الثانى ، وكان يصغره سنا وتبدو عليه وسامة أذبلها المرض والحزن ، بانفعال :

- بل يغير أشياء كثيرة فى النفس . الا ترى أننا هنا كمقطوعين من شجرة ، لا أهل ولا أصدقاء .

الناس فى الخارج منصرفون الى مشاغلهم ولا يفكرون كثيرا فى مرضاهم .



رد الاول بلهجة قاسية :

- ابنائي محترمون ولا ينسون أباهم ، ولو حدث ذلك وهو غير ممكن ، فان أمهم تذكرهم بالواجب ، لكن شيئا ما شغلهم عني كل هذه المدة .

ثم التفت إلي وقال عن الرفيق الثاني :

- مسكين من حقه أن يفعل . لقد نزل بالمستشفى بعدي بأيام وقد مضت مدة طويلة على إقامته هنا ولم يأت أحد ليطمئن عليه . اعتقاده بأن الأهل والأصدقاء لا يسألون عليه يشقيه . انه تعس وأنا أتألم لحاله . الأمر يختلف معي لاننى على يقين أن شيئا ما شغلهم عني طوال هذه المدة وحالما يزول هذا الأمر . سيهبون الى لقائي .

لم ينتظر مني ردا واستدار الى الرفيق الثاني يسأله :

- ما الذى يمكن أن يكون قد أخر أهلك عن زيارتك ؟

- إنه البعد ، وليس لنا سيارات مثل أبناك وهذا ما يسليني أما أنت فحالك تبعت على العطف ، ثلاثة أبناء محترمون وأمرأة تقدر الواجب وسيارتان وببيت قريب من هنا وأنت ملقى في غرفة حجرها الفرح وحل بها المرض ولا أحد يطرق بابك ليطمئن على صحتك .

- أنا فعلا منشغل البال ، تأخرهم عني ليس طبيعيا .

ثم عاد واستدار نحوي :

- وأنت أيها الرفيق ، ألا يطمئن عليك أحد ؟

- لا أنتظر أحدا .

- ليس لك أهل أو أصدقاء ؟

- كلا ، ولكن أُمي لاقت ربها وأبي أحنته السنون ولم يعد قادرا على التنقل .

- والأصدقاء ؟ أنت شاب ولا شك أن لك أصدقاء كثيرين ؟

- صحيح ولكن لكل واحد مشاغله .

قال الرفيق الاول مرددا كلماتي :

- لكل مشاغله . ولكن ما الذى يمكن أن يشغل امرأتى وأبنائى عني .  
إننى فى حيرة . لا شك أن أمرا الم بهم .

فى الليل كانت الآلام تورقنا وكنت أود أن نفتتح النوافذ لتدخل النسيمات الباردة الغرفة وتطهرها من رائحة المرض ، لكن رفيقى لا يرغبان فى ذلك خوفا من الهواء البارد ، الذى قد يعكر صحتنا فأقف وراء البلور وأنوغل بمشاعرى فى الظلام وكان الليل كالبحر صامتا وعميقا تتضاءل بين كتيانه الكائنات وتنمو فى سكونه الذكريات وتكبر الاحلام وينشأ حنين الى الماضى والى الآتى ، وينبثق من بين الضلوع صراخ صامت ويرسم الحنين ضباباته فى عمق الظلام وتأتى الانغام من هنا وهناك كثيفة يسكبها الليل فى نفسى وترقص الاحزان فى وجدانى وأتذكر مرضى فتتسرب إلي المخاوف وأعود الى فراشى أطلب النوم .

يأتينى صوت الرفيق الاول يفسد على سكون الليل ويريدنى أن أواسيه :  
- إننى مشغول أيتها الرفيق على أبنائى وامراتى ما الذى يمكن أن يكون قد أخرجهم عني ؟ أنا متأكد أنهم منشغلون كثيرا ولكن شيئا ما يمنعهم من الحضور للاطمئنان علي .  
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

كنت أفضل الصمت والسفر عبر أمواج الليل الى مناخات تحن اليها نفسى لكن تأخذنى الشفقة على هذا الرفيق الذى يبدو تعسا .

- عون عليك يا أخى . لو حدث ما يستحق إعلامك لجاء أهلك وأعلموك .

وأود أن أنام فأسمع صوته يطرق رأسي ويكرهني على الحديث وهو لا يكف عن التساؤل عن سبب تأخر امرأته وأبنائه عن زيارته بالمستشفى الى أن يفارق الرفيق الثانى ويرجوه أن يدعنا ننام .

وعندما يتغلغل الظلام فى الغرفة ويسكن كل شيء ويأخذنا النوم فى عالمه الزاخر بالرؤى يرتفع شخير الرفيق الاول ممزقا سكون الليل ملوثا جماله العميق فيذهب نومي وأشعر بانقباض كبير فأخرج من الفراش وأقف وراء بلور النافذة عسى الليل يسمح علي قلبي بأصابعه الحريرية ويعيد الى نفسى هدوءها .

يتقلب الرفيق الثاني في فراشه كثيرا وعندما ييأس من النوم يذهب الى رفيقنا الاول ويحركه من كتفه فيفيق ويسال :

- ماذا هناك ؟

- لم نستطع أن ننام بسبب شخيرك الذي لا ينقطع .

- هل كنت أشخر ؟

- لو كان شخيرا منخفضا لهان الامر لكنه فوق الاحتمال .

- حسنا فلن أنام الآن . ولن أعود الى الشخير . لقد كانت المخدة بعيدة عن رأسي

أعود الى الفراش وقلبي مثقل بالمواجع والآلام المرض قد عاودتني فيعود الرفيق الاول الى حديثه عن أهله الذين تخلفوا عن زيارته . ويحسب أنني لم أصدق أن له امرأة وثلاثة أبناء محترمين فيقول :

- إن تخلفهم في أن لي أهلا ، حتى أنت والرفيق الآخر قد يتبادر اليكما أنني مقطوع من شجرة ، لا أهل ولا أصدقاء .

ولكي أقطع جبل الحديث الذي يريد أن يمدد بيني وبينه أجيبه باختصار :

- لا ، أبدا . تصبح على خير . أنا متعب والآلام عاودتني . أريد أن أنام .

كان النوم مركبة تأخذنا الى عوالم بعيدة نجد فيها كل ما نتمناه . كنا نسافر عبر أحلامه الى بلاد الشمس والشواطئ ، اللازوردية التي تفتح ذراعيها الى الغابات التي تسكنها العصافير المهاجرة .

كانت فرحتنا تتحقق في الاحلام عبر الرؤى المتدفقة الحاملة اليها كل الاشياء الجميلة ولكن النوم لم يكن دائما مناسبة للراحة والرؤى المسنة وكثيرا ما كان مزيجا من الآلام والحمى تختلط بشخير رفيقنا الاول فتسهدنا ونقلب في الفراش الذي يصبح وكان تحته مجرة تستعر

أحيانا يخيفني شخير رفيقي فأتقيأ نفسي وتحوم كل الطيور الكاسرة فوق رأسي بأجنحة خفية تنشر كل شيء ردى في شعاب ذاتي وتعاو ثم تهبط على

رأسي كالحجارة ومخالباها ومناقيرها مسددة نحو آخر عنقود أخضر ينمو  
بداخلي فتلتقطه وتطير مخلقة رائحة تذكّرني برائحة الدخان يتصاعد في  
الحقول أنتى تلعب الرياح بشعرها الأصفر .

- يا أخي إنني أختنق .

لكن صاحبي لا يسمعي . ربما كان شخيرہ يسعده بقدر ما يشقيني ويرسم  
له عوالم تنساب فيها الألحان عذبة على بساط أخضر . فيه ماء أزرق ومن فوقه  
سما يبلىها المطر الكامن في السحب التي تبشر بفصول تعشقها الطيور .

أسمع الرفيق الثاني يضرب بكفيه على المائدة أو الغطاء ويغمغم بكلام يسب  
فيه الإقامة بجانب هذا الرجل ثم يقول كمن يحدث نفسه :

- انها سكاكين تبحث عن قلبي لتشرحه وتلقي به في أدغال الليل .  
لا أستطيع أن أنام . أنا أتعذب كحيوان غير مرغوب فيه . لماذا يلقي بي هنا  
كأى شيء وضيع بجانب هذا الحيوان الذي لو فتحوا صدره لوجدوا بداخله  
آلة للشخير .

يتمرغ المسكين في فراشه كدابة عشش في جسمها الجرب ولم تجد انسانا  
يداويها ، ثم يستسلم بعد مشقة الى نوم خفيف .

وأبقى وحيدا يرمقني بعينين تقولان الكثير ولا أفهم عنهما الا القليل .  
وكم تشرق البهجة في نفسي عندما أسمع المطر ينقر على النافذة نقرا خفيفا .  
أفتح قلبي له وأخذ من عطره وأصبه في السواد الذي يكسو أعباقي وتنطلق  
من داخلي طيور كانت سجنّت يوم حلت بالمستشفى . اشتاق الى رائحة المطر  
فأسرع إلى النافذة افتحها .

أحبك أيها المطر ولا أستطيع أن أراك تجيء بدون أن القاك ملء جوارحي .  
أنت بالقلب ، فادخل الغرفة وانشر فيها أريج البلاد البعيدة التي جئت  
منها . تعال أيها الصديق واسمع هذا الشخير المقيت وخذني في عالمك الجميل  
لا تخلص ولو لساعة من هذا العذاب الذي لا يهدأ ، لا تبال بما سيقوله رفيقاي  
الذدان يخشيان البرد ويمتنعان عن فتح النافذة ، مبرّدك ينعشني ويبعث في  
نفسي لذة لا عهد لي بها ...

... عندما جاء الطبيب وأعلم الرفيق الاول بأن إقامته بالمستشفى قد انتهت ، ففز الرفيق الثاني من فراشه يهنؤه بالشفاء وفعلت أنا مثله ، كانت فرحتنا أكبر من فرحته بالخروج للقاء أهله ، قبل أن يغادر الغرفة أعطانا عنوانه وطلب منا أن نزره في بيته . وقال بعد أن ودعنا بأسى واضح :

- سأجيء من حين لآخر لأراكما وأطمئن عليكما .

قال الرفيق الثاني :

- شكرا لك ، سنشتاقك كثيرا .

- لقد كنت بيننا اخا كبيرا أو أبا . وكنت لطيفا ونحن احببناك ارجو أن نجتمع في ساعة خير .

خرج الرجل وأخذ معه شخيرته وحديثه الرتيب عن أبنائه وامراته ، وأحسست أنا ورفيقي أن الغرفة أرحب من ذي قبل وأن الهواء بداخلها أكثر ليونا وإن آلامنا خفتت .

في الليل ، أطفأنا النور وقال رفيقي :

- الليلة ، لا شيء يلوث هذا السكون المهيّب .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قلت :

- كدت أكره الليل بسبب الشخير .

أسلمنا أجسامنا الى الصمت والى الظلام ، تهنا في بلاد الله البعيدة والقريبة ثم عدنا والصمت هو الصمت والنوم لا يجيء .

حككنا جلودنا ورؤوسنا بأصوات مسموعة وتمرغنا في الفراش وتنحننا وعيوننا تأبى أن تنطبق ، لقد تعودت على السهر . الارق اللعين يعود وينقض علينا كطائر كاسر فنصرخ في صمتنا ولا يسعفنا النوم بذلك السكون الروحي الذي ترتخي له كل خلية في الجسد . وتذكرت شخير رفيقنا فلاحت صورته في ذهني وسبعته في أغوار نفسي يحدثني عن أبنائه الثلاثة وأهمهم كما تعود أن يفعل فاشتقت إليه ... نفسي المعذبة حنت إليه ، نفخ الشوق فيها فانتشرت صورته شعابها تعبق بعطر لم أعده فيه .

نفسى تفر منى وتمرد على وتحب كما تريد وتكره كما تريد .

وأنا أنظر ولا أقدر على شيء .

قلت لرفيقي :

- اراك لا تنام . هل أنت قلق ؟

- إحساس غريب يكبر بداخلي وينشر الحزن في أعماقي . إنها الوحشة والغربة والضياح تنقض جميعها علي ، الغرفة خلاء وأنا وحيد في ليل بلا نهاية .

- أنا بجانبك والمستشفى به نزلاء كثيرون فلا تشرك هذا الاحساس يستبد بك .

- لا أستطيع أن أتخلص مما بنفسي ، إنها أشياء سوداء ثقيلة تحط بداخلي كطيور شؤم .

- لا داعي لكل هذا القلق . أنت متأثر لخروج رفيقنا وهذا كل ما في الامر .

- ليته بقي معنا فوجوده كان يؤنسنا ويملا علينا الغرفة ، ها هو الآن ذهب وأخذ شخيرته معه ، فلماذا لا ننام ؟ لماذا الثمل يتقل علينا كبحر يقع على رؤوسنا ؟ نحن الآن غرقى وأمواج الليل ماء . قاوم الماء أيها الغريق ! قاوم الماء فالبحر عميق وحذار أن تتعب عليك أن تقاوم لتنجو من الموت ... لينتك تعود أيها الرفيق الذي غادرتنا هذا الصباح ولن يقلقنا شخيرك مهما علا ، فالغرفة بعدك ساكنة وباردة يعيش فيها الحزن .

بعد أيام كنت وحيدا بالغرفة . ذهب الرفيقان وبقيت كالذئب الشريد أعوي في صمت الغرفة ولا يسمع عوائي إلا نفسي .

أقامت بالغرفة أشباح كثيرة ، أحببت بعضها وكرهت البعض الآخر عندما يطوف بنفسي الحزن وأذكر رفيقي أعود إلى العواء الصامت الذي تردد صداه كل خلية في جسمي . فتأتي الأشباح مسرعة وتحط فوق فراشي وتحيط بي من كل جهة . يسخر بعضها مني وبعضها يواسيني ويكفكف آلام نفسي فأنام .

**مشور النصري**

جوان 1987 - القصيرين

## الوجه الآخر

تسللت يده المتفطرسة نحو جسدها المتفتح في آكام الليل تداعب أماكنه الحساسة . فتارة تتسلق عضايه وأخرى تنحدر نحو منخفضاته ، وما أن تشملل الجثة الهامدة في الفراش حتى تتجمد الكف السعيدة في مكانها برهة ثم تلوذ بالفرار لتعيد الكرة من جديد .! أفادت سعاد من سباتها الطويل أرقتها اليد المجنونة لكنها ظلت مغمضة العينين وقد فارقها الكرى . وسرت في عروقتها رعشة اقشعر لها جسمها المتبتل . فكبتت صرخة كادت تدلف من بين شفثيها الرقيقتين وقررت خمد أنفاسها حتى تتفادى مواجهة هذا الشيخ المترنح حذوها يتخم نهمه من طيب محاسنها ، ها هي اليد الناعمة النذلة تجول على مساحة صدرها وتلتصق بنهدها تفتش فيهما عن لذة عمية ، ثم تتدحرج نحو اليساس لتلتهم كل شيء .!.. جزعت سعاد واشتدت مخاوفها في ليلة زرقاء يطعم المعلق لكنها لم تنبس بكلمة وجع واحدة فلا بد لهذه الانامل المحسومة أن تسقط في منطقة انعدام الوزن ، الا أنها تبادت في غيها مما أثار أعصاب الفتاة التي راحت ترتجف بين الغيبوبة واليقظة ! تهاطلت لعنات النقمة في نفسها واليد ما زالت تزحف فوق انحاء جسمها تبحث في زواياه عن مخبا لها ، ثم ما لبثت أن كفت عن المطاردة لتستقر على الأرض التي اعتمدتها في الصعود الى الربوة .!.. وأحس بجسده يدنو منها شيئا فشيئا حتى بدا لها كأنه يدخل فيها وقبل أن يتهالك عليها ليحيلها الى كتلة من جمر انتفضت من سكوتها فزعة مذعورة وقد لفظت ترددها واستسلامها لرغبة حية تعشش في أعماق أعماقها واجهشت فيه باكية لا .. لا .. لا ٠٠ ذهل فوزى فظل مسقرا فاغر الفاه وقد جحظت عيناه في محاجرهما وعجز عن الكلام .. فسادت بينهما لحظة صمت رهيبه حجبا ارتباك مربع كلاهما يحدج الآخر بطرف الدهشة وقد اكتسحته الصدمة .. امتدت يدها مرتجفة نحو ثوبها المعلق في صدرها لتستر به عورتها وشبهت بعد ما خنقتها العبرة من أنت ؟ من أنت ؟! إلا أنه بقي كالأصم يرمقها بنظرة زائفة شاردة كأنما ضاعت منه شفتاه مما صعد في نشيجها وهي تهمهم ..

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ .. إنه أخرس لا يرد ، أجهد نفسه في حمل جسده الذي كان يهوي به على الأرض ، وجعل يعتمد عنها رويدا رويدا وهي تنفرس في وجهه الكالح الى أن غاب عنها تماما فتناهى اليها حفيف باب الغرفة المجاورة التي تنام فيها ابنة خالتها وهو يطبق في حذر ! اعتصرت ذاكرتها في جمع ملامحه المتناثية وقد بدأ اليأس يعلو بها الى درجة الاكتئاب فرفعت جفניה عساها تتبين ملامح وجهه وسط العتمة باحثة عن مرقا له في سجل ماضي العائلة .. ولكن عبثا حاولت ذلك ؟ اختفى زائر الليل تماما وتلاشت صورته عنها إلا أنها لم تجد الى النوم سبيلا فجمت زاعدة وأحست كأن يدا خفية تدفعها من قمة الفرح الى سراديب الهاوية وكانت الأرض تلف من حولها وهي تتسأل في قرارة نفسها عن علاقة هذا الشبح اللعين بابنة خالتها المطابقة التي دعته ملحة لتقضي عندها عطلة الصيف .. ورغم امتناع والدتها واقتناعها بأن لبلى التي تنكرت لاسمها وأصلها وباعت القرية بالازقة الخلفية داخل العاصمة لا يمكن أن تكون إلا امرأة متمنطة شقية لا يرجى منها أى خير لكنها تحدثهم وأصرت أن لبلى إنسانة متحضرة استغنت عن الرجل لتقف صامدة في وجه العاصفة ، فتكسر كل غل يكبل معصيتها ولذا فهي لا يمكن أن ترفض دعوتها لها بأن تقضي معها بعض الايام الصيفية على شاطئ البحر الحالم .. سررت لمحياتها حيوط الشمس منتشرة عبر نافذة بيتها المطلة على الشوارع الضيق فأفاقت داخل حجرتها وشرعت تجمع متاعها في حقيبتها لتستقبل أول قطار يعرج بها على عروس الساحل مستنجدة بقرينتها التي قررت أن لا تفارقها الى الابد .. وقبل أن تغادر الشقة اتجهت نحو الغرفة الاخرى تسترق نظرة خاطفة من ثقب بابها المصفوق ، فاذا بلبلى ابنة خالتها تسبح في بحر من الاحلام العذبة والى جانبها يقبع الشبح الغازي وقد سرح في موجة هادرة من التفكير داخل دخان سجائره الموزعة في كل مكان ... شقت الزحام بعسر لتحتل أول مقعد صادفها داخل العربة تنفست الصعداء قبل أن تفتح حقيبة يدها التي سحبت منها كتابا من الحجم الصغير كتب على غلافه الخارجى بخط منسق « بلا رجل » تصفحته ثم غابت داخله بدون استئذان وقد ملأ أذنيها صغير القطار الراحل نحو السواحل ...



ابراهيم بن سلطان

## الحذاء والوحل

دنا مني ابني وطوق رقبتى بذراعه فى حنو وطلب مني ضاحكا :

- حدثني مرة أخرى - يا أبى - عن ذهابك الى المدرسة ذات صباح حافى القدمين حين كنت تلميذا !

ابتسمت ، ثم وضعت القلم وقلت :

- عشت يا ولدى ضمن أسرة كثيرة الافراد ، نتقاسم الافراح والهموم فى منزل ضيق ، تنام فى غرفة واحدة ، نتبادل الألعاب واللعب والعنف فيما بيننا كاخوة ، يريض منزلنا ومنازل بعض الاقارب تحت الجبل غير بعيد عن الثكنة وعن مصفاة الفسفاط التى كنا نسميها «الرحى» ، وألقى كنا نعبها عند ذهابنا الى السوق أو المدرسة ، يتجمع غبار الفسفاط على أرضية هذه المصفاة وفى مسراتها فيبتل شتاء فيصير وحلا رخوا يعطل تنقل العمال وغابري السبيل . مررت بها صباح يوم ماطر فى طريقى الى المدرسة ففاصت قدمي فى الوحل ، جذبتهما بقوة فخرجتا عاريتين كما يستل السيف من غمده وبقي حذائي غائضا فى الوحل . حاولت نزع ففشلت ، ظلت قدمي فى الوحل البارد ، تسرب البرد الى جميع مسام جسدي ، هزنتي قشعريرة فارغش كامل جسمي ، بدأت ارتجف ، بكيت من البرد وخشية فوات وقت الدخول الى القسم فأصل متأخرا فأعاقب ، أبصرني عامل فهب لنجدتي ، خلص حذائي من الوحل ثم أوصاني وأنا ألبسه بشد رباطيه جيدا والحذر من الوحل ...

أما عن ذهابي الى المدرسة حافيا فحدثت عندما كنت فى سنتي الاولى بالمدرسة الابتدائية ، قمت ذات صباح غائم - قد يكون الفصل آخر شتاء - اغتسلت ثم تناولت جلف كسرة ساخنة قدمته لي أمي ، نقعته بزيت «سانفو»

على عجل كعادتي ثم حملت محفظتي الجلدية من مكانها خلف الباب أين اعتدت إسنادها الى الجدار . هذه المحفظة التي درس بها أخي الأكبر مني قبلي ثم أورثها لي دون وصية وهو على قيد الحياة ، بحثت بعد ذلك عن حذائي العزيز الفريد الغالي فلم أجده ! هبت أُمي ثم بقية أفراد الاسرة لمساعدتي في البحث عنه لكن دون جدوى .. تدخل أبي الشيخ المتقاعد من المنجم ، خاطبني غاضبا :

– أين حذاؤك يا ابن الـ ١٩٠٠

حككت رأسي لاتذكر – كما يفعل الكبار – ٠٠ ( آ ! تذكرت ! تذكرت ! لقد نشبت البارحة كالعادة معركة حامية الوطيس دارت رحاها بيني وبين أحد إخوتي لسبب – لا شك بسيط – استعملنا فيها كل « الاسلحة البيضاء » الموجودة بمنزلنا والمسموح بها : علب ولعب قصديرية – قضينا وبذلنا في صنعها وقتنا طويلا وجهدا كبيرا – وعصبي وحجارة وأحذية وماعون وملابس ووسائد ٠٠ لعل أحدهنا – في حالة هجوم أو دفاع – رمى الآخر بفردتي الحذاء فأسكنهما أحد أركان المنزل الخفية أو قذفهما بقوة فتجاوزتا حدود منزلنا وبلغتا منزل الجيران .. ) أعيانا البحث دون فائدة .. سالنا قريبا لنا يملك ساعة يدوية :

– كم الساعة الآن ؟

– لم يبق لموعد دخول الفصل الا ربع ساعة !

المدرسة بعيدة والوقت ضيق والبحث لم يأت بنتيجة ، قررت الذهاب حافيا فخرجت أتأبط محفظتي ( لاشرا ) أعدو خشية الوصول الى القسم متاخرا ، وأنا أفكر في جواب لتساؤل المارة وعمال المصفاة :

– ما لهذا الصبي يعدو حافيا هذا الصباح ؟

وجده :

– « لعله عداء » ناشيء ! يعد نفسه لسباق طويل في العدو الريفي ( أو المدني ) وقد وضع حذاءه ( الضيق أو الواسع ، لا يهم ) في محفظته ! »

وصلت المدرسة ألّهث ، وقفت وسط الصف محاولا إخفاء قدمي ، أقدم اليسرى وأؤخر اليمنى ، أخفيهما وراء قدمي الطفل الواقف أمامي ، أظاهر بحك عقب أحدهما بأصابع الأخرى ..

دخلت وقضيت حصة الدراسة ثم خرجت مع الاطفال الذين لم ينتبهوا لقدمي لا هم ولا المعلم ! لعله كان مشغولا بانجاح الدروس أو لم يلاحظ فرقا بين جلد قدمي وما ألبسه عادة من أحذية !

- لقد كنت حريصا على التعلم يا أبي فلم تنغيب عن الدرس هذا اليوم رغم عقد حذائك !

- كما كنت حريصا على عدم التفويت في حصتي من الاكلّة التي كان المطعم المدرسي يقدمها لابناء المعوزين أمثالي بعد أن استعرت حذاء أحد الاطفال حتى أدخل المطعم دون حرج يا ولدي !

ابراهيم بن سلطان

الزديف - ربيع 87

### أحلام بحار متعب

أحلام بحار متعب مجموعة قصصية ابراهيم الاسود منشورات

قصص (8) الثمن : م 2,400 يمكن أن تطلب مباشرة من قصص .

تخفيض 30 % \*

## ما اجتمع من الزئبق

اليوم ؟

البارحة ؟

لم أعد أذكر متى سافر أبي . إلا أنه ستظل ترسم في ذهني تلك المسافة وذلك المشوار الطويل الذي قضيته معه .. رحلة أخرى تنتظرني وبقية أفراد العائلة .. الكل يعتقد أنه الوحيد الذي يحمل العبء . كانت السيارة تجري بنا يقودها الصمت ونحن الاثنان نباركه .. جدار يفصل بيني وبينه . لم أعرفه في تلك اللحظة ، وهو يحدثني عن المستقبل ، عن العائلة ، عن اللاجئين وأشياء أخرى لا أذكرها ، والضباب يقبع أمامي والكلمات تأخيني صدى أجوف وأنا أتساءل : هل من معنى للحقيقة ؟ وهل من معنى للسفر وأبي بينهما ؟

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

كان صوته يمزقني أشلاء ، وهو يسافر الى البلد بعيدا عنا ، أنا أعرفه جيدا . هو باريس الحانة .. وباريس المبعث والمخدرات ، وهو باريس باريس ... وتمة وصايا ما زالت تتوافد على ذهني لتتحقق في معنى الأبوة . هل أقول : إني أحبك عمق الحب ، وأكرمك نفاذ الكره لأن كأسا وفخذا يكفيان لينسيها الكتابة التي عاشها بيننا هذه الايام الجد قصيرة ؟

كنت في الليل أنزل من فراشي أبحث عن شيء ما بين كتبي ، أذكر أنني اصطدمت يوما بزجاج المقهى إذ رأيته فيه ، يضحك أصدقائي مني ، ويكون الليل في أسرهم ، هم المتناسكون بحضور الأب وأنا الغائب عنني . افتقد هذا التوازن دون وعي مني . ويخجلني سني أن أرتقي في أحضان أمي .

أخذت أدعو ربي أن ينزل ، ويعاين هذا الهبوط المفاجيء في حرارتنا ، لم يستجب لأى نداء من نداءاتي ، وأمي ما زالت تضحك أمامي كأجمل يوم أزهق فيه البنفسج ، ولكنها ظلت عيونا لا تكل عن البكاء وظلت رمزا للوفاء .

فهل من ذنب أتيت ؟ وأنت تعلمين أنه الساعة تختنقه أزقة البؤس حيث نساء بلا رجال ؟ ما زال لنا الكثير من الوقت على موعد الطائرة ، نزلنا بأحد المقاهي .. هنا وهناك تنتشر وجوه كسحب متفرقة لم تتلاقح بعد ، وكان هو بجانيبي ، لم أعد أذكر جيداً التفاصيل ، تورقني القهوة وكأس الماء يطحن مرارتها .

أنا الآخر تكفيني الكأس ونهد بين أصابعي ينتفض فاطهر في اللحظة الواحد والمتعدد ويبقى وجهه يطاردني في خواني .

كنت أبحث عنه في كل الغيتات اللاتي وعين لي ليلتهن ووحدتهن ، بقيت هي الاستثناء لا تعرف أنني أجهل لغة الحب ، أصبغى تعودت على مرارة العزف .. انزوت بي في الركن .. لم أقبليها .. كنت أكره المفاجآت ، حمى خمارات الليل ثقلته وثقلتنني ، وددت لو أزيح هذا الصمت الذي يرأسلنا من أحد الشوارع القاحلة والمتوغلة جداً في اذهاننا منذ الاعلاق الاول ليوم السفر الاخرس . وهي الاخرى خرساء تذكرني بالف لقاء لم ينجز ، وتقف أمامي كاحد الكتب الصفراء المنسية ، صفعتك ولم أتوان ، صفعتها مرة أخرى ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

واللحظة لا أدري هل ما زال بجانيبي في المقهى أم أنه سافر ؟ كنت مثلهم أريد أن أتماسك فشعرت أنها خدعة سمجة ، وفي السيارة الضباب بيننا كان يتقاص الى حد الشعرة ، تتحقق كل نظريات العلم وتنهار ، قليل مدينتنا مخالف لباريس الليل فالبعى هو الماوى الاخير والحانة هي الماوى الاخير ...

ما زلت أذكر ذاك اليوم حين قادني أبي الى زقاق البؤس وأنا صبي لا أعي الاشياء من بعضها ولا أعرف لماذا اقتادني أبي اليه ؟

هل ليعرفني على سوق اللحم في بلدي ؟ لا أذكر ولا أعرف وتلك الصورة ترسم والصفعة على خدي أمي تمارس وقعها في أذني . الآن أكره أن أكون التماسك . كانت اللحظة هي التي أرسيت كياني ، كانت اللحظة هي وجودي ، أعلن أنني اللحظة .

دخنت وقتها لأول مرة أمامه دون حياة ، اذ كنت وحدي ، أذكر أنني رأيته من وراء الدخان . كنت أبحث عنه في الصمت الذي يقودنا ، محتمل وجوده

بل كل شيء محتمل وهيزن بورغ يؤكد الاحتمال وأنا أحتمل الاحتمال اذ حتى وجوده احتمال في ذاته ، احتمال كما يبدو لي . أخذ يحدثني عن سفره وأنه لن يتأخر هذه المرة :

... مدة شهرين وسأعود هل تريد أن أبعث لك شيئا ما ...

لم يكذب .. هو دائما يأتي محملا بهدايا السفر الجميلة . ولكنني أيقنت أنها هي الهدايا كانت تأتينا ، هي الهدايا كنا نقبلها ، نفرح بها وهو يشاركنا فرحتنا لغباوتنا ، وهكذا لم نستقبل سوى الهدايا وأنا الآن أودعها ، نعم أودعها اذ هي بجانبني .

وأمام مدرج الطائرة لم يلتفت ، شوكة ما وخزته في أعماقه ، تماكنت نفسي ارتد الى صدهاء خنجرا يسوق كامل أجزائي . وذلك المساء الذي يحضرني يمارس وجوده في ذاكرتي كقطر من الحبر على النافذة ، وتعاود السماء فتح أبوابها لتتسوخ الطرق فتنبعث صورتي كالقطرة على ضوء البرق .

ما زال وقع الصلعة ذات الصلعة يفعل في فعلته ، قد يضحك في الآخر ، قد يبكي ، قد ينتهي بالجرس المعلق على باب بيتنا ... يتنزل الصمت أعرف أنه بجانبني . ثقيل زمن الوحدة .

كانت أمي هي التي ترافقني الطريق الذي تبعثرتني فيه الهدايا ، وكم هي لعبة قدرة أن يفتح لا وعيبي عن مثل هذا التمثل الارعن السخيف .. أحببت أن أبقى الذبذبة في صدره عسى كأس توقعه يوما ما ...

تذكرت أختي التي ستتزوج هذه الصائفة وفرحتها بهذا الفراد الشرعي فشاركتها لشرعية فرحتها . هذا الاضطراب أو تلك المازوشية هي التي تمدني بانسجامي وتناسقي الظاهرين كأقدم لحن شرقي غابر توارى وراء مشاكلي العاطفية ، وفجأة ينبثق الاستثناء في وجه مراعاة حطمت كل جدرانني .

فهل كان أبي يعرف كم أممت الهدايا ؟ وهل يدرك هذا الحجل المر الذي يرسم على قسمات وجهي ، وهذا الصمت الذي سيظل يحملني ويحملني

ويتوارى هو في مكانه مع غليونه ليبقى الدخان دليلا وجوديا على بقاء نار خمدت .

كم أقنعت نفسي وقنعتها بشتى الفاسفات وهى الاخرى مهزلة تفرقني في زخم المستنقع وتؤرقني كامل ليالى الشتاء . فأحمل عبثي وعبء أمي والفوضى تتخللنا كالجر .

وفي الصباح أكون المتماسك وأذيب توازني بقية اليوم بين احدى الشفاه الملقاة لي على قارعة المستنقع ويتبع ذلك الاستثناء ينخري ، وددت أو أصفغها ، لو أتفجر أمامها مثل بركان خمد ألف قرن فبنوا على قمته قصر السلطان المواجه لمشرق الشمس ... كانت تحمل شيئا خصوصيا زئبقيا وهو ما أخجلني من نفسي والكلمات تتردد الآن في أذني ... لنبقى أصدقاء ... وهل كانت تعرف معنى الصداقة فأنا لا أعرف سوى لغة الحب الاجوف ، لغة جسد يمارس نشوة جسده .

هذا الانبثاق انتزع عني كل أقنعتي ، لم أقدر أن أتوارى ، والساعة تتوارد علي كل الصور التي تتوالت في ذاكرتي منذ عهد الطفولة : أبي الغائب وأمي وأختي التي تترقب الصيف وصديقتي والدرب والقوانين التي أجهلها ، وهذا الاستثناء حين تميل الشمس الى المغيب ، وحين يودع في الليل ساعته الاخيرة لا أتمالك عن الاستخفاف بنفسي ، وأنا أعلم أن ترقبي وشوقي كان لهدايا . هو الآن يستشعر تقدم الزمن وهو ما جعله لا يلتفت في مدرج الطائرة ، وأنا أتساءل عن هذا التماسك الذي كان يديه بيننا ، يقضي كامل اليوم في البيت ولم يخرج سوى مرة عاد فيها متأخرا وأنا أعرف ، وامنحه عذري فعشرون سنة في باريس تتطلب منه هذه التضحية وما المانع أن تتزاوج الحضارات فيما بيننا ؟

هل أخبره أن باريس تكلفني توازني ؟ . وهل يعلم لماذا فشلت في دراستي ؟ هل يعلم لماذا أخذت الكاس قبلتي وأنا شاب لا أفتقد الشكل ... ؟

يقينا يعلم . ويقينا يجهل ، لم يأخذ أى درس من لقمان الحكيم ، أستاذة الكأس وجسده الليل . ما زلت أذكر الصفعة التي أزعجت بها كل قساذورات

المنفى ، كنت مراقبا ذاك الوقت . وكانت صديقتي الاولى جميلة فصفعتها لتبقى لي ، لاستغيض بها عن صورة أخرى تناسبها ذاكرتي . وكل شيء هذه الايام يفلت مني حتي ذاك الاستثناء ، وما عدت أعرف سوى المفارقات الى أن وجدتتها يوما ما فارقتنى والآخر ما زال يضحك في داخلي والدخان بيننا وصورته تتوضح لي كالتائه المفقود ، أمسكت به فكان دخانا ، أيقنت ساعتها أنه سافر وأنني في طريق العودة وأضواء الليل تفترسني ، ويتخللني عجزتي للمرة الالف فأترك المقود للصمت ورياح الاغيار تخرجني من بعد ، وتترك في بصمات الدرب وهذا الحمل الثقيل .

وبين الغيبوبة والصحو اشتبهت كل الصور في ذاكرتي واختلطت ، تناوبتني هواجس عدة ، أحسست بعرق بارد ينساب على جبيني ، وراودتني افكار شتى ويداي على المقود ، وانفتحت عيني على لاجدوى هذه الحياة الخاصة . فكم كنت أملت نفسي أن تكون على هذه الشاكلة ؟ وكم مرة انتابتني هذيانات لا أعني مصدرها ؟...

وأنا في هذه الحال من الشعور المتهور اذ تستوقفني احدا من ، انفجرت داخل رغبة في دوسها في الاصطدام بها ، في بعضهما اشتاتنا . عدلت عن الطريق وحاذيتها ، ودست بقوة على زائد السرعة .. تسرات لي من خلال زجاج السيارة جامدة في مكانها ، وقد بوغت ولم تقدر أن تفعل شيئا سوى ذاك المكوث الباعث . وعندما أوشكت أن أتلفها أدركت المقود وانحرفت عنها قليلا ، وأزيز العجلات يطن في أذني ، وقد صمرت لا ألتفت الى شيء اذ لا جدوى أن يبقى العالم أو يذهب . كانت الطريق هي التي تجري أمامي ، وشيء لا أدري ما هو يعتمل في عنقي أو خارجها عني ، يكسب عيني وبقية حواسي نوعا من الخدر يحول بيني وبين رؤية الكلمات التي أفكر فيها .

اشعلت سيجارة لاستعيد بعض الواقع ... كانت مرة في حلقي .. اخذت نفسا طويلا أخرجه من خياشيمي .. ضحكة ما تراودني ، وأنا أنظر الى هذا الدخان وهذه السيجارة كيف تحتضر ، لقد أدت خدماتها ، وعن قريب سترحل ... تأسفت لرحيلها المبكر والى حياتها القصيرة .. شعرت في ذاك الآن أنني مثلها لا أعدو أن أكون سوى سيجارة موتها مرتين في عود تناب ساذج سخيف ، وحياة مختزلة في بعض دقائق تقاديا لآلام قد تكون أكثر .



فكرة ما بدأت تخالجنى فى الجانب الآخر من الحياة ؟ أنا أعرف أن لا شىء يحمل معنى ، لم أكن أرغب فى هذه الحياة ، أرفضها على هذا الشكل ، السأم والقلق ينتابان وجودى ، كانت طفولتى تصور لى عالما أفضل مغايرا تماما لما أنا فيه مازلت أحتفظ بصورة فى ذاكرتى .. وددت لو أكون طفلا لاستعيد لذة ذاك العالم ولأستعيد لواعيى بالأشياء ، فهل كنت - يومها - أفكر فى موت السيجارة ؟

كنت أنام مبكرا لا أحمل معى ائى الفراش سوى تعبى أو رغبة فى شراء لعبة ما . ولا أدري إن كانت ذاكرتى قد دخلتها صورة أبى فى ذلك الوقت أم دوره لم يأت الا فى مرحلة متأخرة ، وكل ما يحضرنى الآن كروية خيال على سطح الماء فى الليل هو أنه من صيف لآخر يحل ببيتنا رجل يقضى معنا أياما معدودات ثم يختفى بعد ذلك .. كان يجلس بجانب أمى ، ويضعنى بين يديه ليقبلنى من حين لآخر ، وفى الليل ينام فى حجرتها . وكلما أسألتها تجيبنى « إنه بابا » .

وكم مرة أضع نقاط استفهام وتساؤلات أخجل أن أسألتها عنها .. ربما كنت أخاف بابا الذى لا يأتينى الا صيفا . وفى تلك الأيام عندما أدخل الى فراشى يعترينى نوع من الكره والمعارضة الشديدة لا أدري كنههما ، وقد أتبول وأنا نائم أحلم بشىء مزعج . وفى الصباح عندما يتكشفون على فعلتى أسمع صوت بابا يقول : إنك رجل لا يحق لك أن تفعلها ، البنات وحدهن يفعلنها ... يومها سألت أختى التى تصغرنى : هل تفعلينها أنت فى الفراش؟ وفى بعض الاحيان أسمع أمى تنبكي ، وشماتم متداولة بينهما ، ولا أعرف لماذا كان يصفعها ويتفوه أمامنا بكلمات لا تليق باب ، ومرة أخرى عندما أنزوى فى غرفتى كنت أسمع أمى وهى تقول لهذا الرجل الذى لا يأتى الا صيفا : « ... ابتعد عني ... لا أريدك » ولكن سرعان ما يخفت صوتها ويحل محله شىء آخر .

كان يغمض علي ويشير فى الاشمئزاز حتى أنني فكرت أن أفكها من أسره ولكننى لم أفعل اذ تخيفنى صورته فى الظلام فأنام بحسرتى .

وفجأة أفتقده فى البيت وتنتابنى فرحة عارمة ، أسأل أمى عنه فتقول لى : سافر ليعمل ، وسوف يأتى كهذا اليوم ، وأنا لا أريده أن يأتى فى أى يوم

لكي لا يصفعها مرة أخرى أمامي وفي غرفة نومها ، وما أشد استغرابها مني وهي تراني فرحا . ولا أدري لما تستغرب أمي مني ؟ لم أفهم معنى كلمة بابا جيدا في طفولتي . وتلك الحقة من الزمن الغابر هي التي تمارس قسوتها وتقلها على حاضري .. كانت فرحتي به لا تعدو لعبا شتي يأتينا بها لنا : أنا وأختي .. لربما هذا ما قلص كرمي نحوه شيئا ما . ولكن عندما أشعر أنني لم أتمتع بطفولة كأصدقائي يرتمي لاوعيي على كره أكبر ...

كان كثيرا ما يسأل عن دراستي ونتائجي التي أتحصل عليها بامتياز فيفرح ويقبلني ، وتهاطل على هداياه المسمومة ، أردت أن تفرح أمي فقط . لأزيج عنها صفعات من الحزن المنسية ، ولكنه يغمس بيننا ويقاسمنا هذه الفرحة بالرغم عني .

تمر الايام وبعدها السنون لأستفيق من غمايا السيكلوجي الذي يسدل أمامي لأجذني أتوقف أمام أحد المقاهي الليلية .. نزلت من السيارة ثم دخلت وأخذت مكاني بأحدى الزوايا البهوية حيث ينتصب خاف الزجاج محل كتب على عارضته الخارجية بخط جميل ، حلقة رفيعة للنساء ، ناديت النادل أن يحضر أربع قنآن وقهوة ، كنت أشرب الكاس تلو الكاس لأرتوى منها والسيجارة أدخنها عقب الأخرى لا تقي بفرضي . وتابعت احتضار القناني الأربع ، وتحرك في بعض سحاق السكر ، وبين الحين والآخر أتوجه بنظري الى اللاتي يدخلن محل الحلقة : هذه لتحلق والأخرى لتسريحة وتلك لتقليم أظافرهما ، ويشدني هذا المشهد الأخير وأنا أنظر الى أظافر أقدامهن ، ومفاتيح السيارة أديرها بين أصابعي وإذا أحدهن تثيرني إذ لم يكن بجانبها أحد . أشارت فبادلتها الإشارة لا إراديا . وبعد بضع دقائق خرجت من المحل ، كنت مازلت في مكاني لم أتحرك . وكان الكرسي يجذبني الى حوة سحيقة لا قرار لها ، ناديت النادل أن يحضر لي زجاجتين تجرعهما بسرعة واحتسيت قهوتي ثم دفعت الحساب وخرجت .

تحركت في الجو نسمات وتماوج في عيني نفس الضباب وصدى ذكريات تتوارد الساعة كلواحق الاشجار تأتي بها الرياح دون أن تسدري . أردت أن أمسك بخيط ما انفك دائما ينفلت مني ، تمايل بعض الشيء في . أحسست بالخدر يرافقني ، ارتيمت بكل ثقلي داخل السيارة وبقيت واجما كتمثال نصفي

فى أحد المتاحف الباريسية لا يحمل من الوعي سوى تجاعيد الزمن . وكنت أحمل مرارة القهوة . فتحت المذياع على أغنية « السن الحقاء » كشفت كل هوسي ، لم أقدر على إزاحة رتابة هذا اللحن الذى يتساق بين أذني ليجردني من كل أقتعتي ومن نتف بقايا القاذورات التى أحملها بدءاً من يوم ميلادى ومروراً بتلك الكلمات التى ما زالت توقع فى ألحانها تركتها إحدى القيثارات صامتة « أبوك باع نفسه للشيطان وراء الخبزة ... »

ولكن ليذهب الى الجحيم ! ما كان يلزمنى أن أعيره هذا الاهتمام ، هو الآخر رجل . ولا يحق له أن يفعل ذلك . أحسست برغبة فى التقيؤ .. فتحت النافذة .. كان الناس يسيرون أمامي وكان خيوطاً تشدهم من فوق . لامستني إحدى النسيمات ، أفقت بعض الشيء ، أدت المحرك وأخذت طريق العودة .

عند وصولي كانت أمي تترقبني وهي فزعاً لتأخري .. سألتني أسئلة لا تحمل معنى ، اشممت في رائحة الخمر ، عاتبتي فابتسمت لا مبالياً إذ لم أعد أعرف لماذا هذه المفارقات المتعددة ، أحضرت لي العشاء ، نظرت الى خواء الصحن ولم أمسسها ، وتركتها وذهبت الى غرفتي لأنام ، وأنا بين الحلم والواقع أسمع أمي تتكلم عن شيء ما كان يأتي متقطعا مع ظلمة الليل ... أخوك .. على السفر .. هو لن يأتي .. على كل حال ...

**لطفي السلمي**

## شظايا

لكم تطول المسافة .. لا شيء خلف الطريق غير طريق أطول . مازلت أحس  
بألم حاد في ضجيج ذاكرتي ، ووهن في كل مفاصلي .. والطريق يتمطى أمامي  
كتعبان أرقط في أحراش مخيفة ثم لا يلبث أن يبدو لي المنزل نقطة سوداء قائمة  
في آخر مدى الأفق : لم أكن أميز أكنت أسير اليه ، أم كان يتقدم بببطء الي ؟  
غير أن المسافة كانت تتقلص شيئاً فشيئاً حتى أدخل يدي في جيبى أبحت  
بلامبالاة عن مفتاح ما ثم أدفع الباب برفق ، فيحدث أزيزاً كحشرجة خنفس  
عجوز هشود الى زاوية منقار بوم قبيح . مازال أمامي أربعة عشرة درجة ورواق  
طويل الى غرفتي المعزولة في آخر الطابق الاول في المنزل .

أضع قدمي اليسرى فوق الدرجة الثالثة لم فعلت ذلك ؟ صرخة صبي ، تنبعث  
تتراقصان أمامي ، تخط هنا وهناك تسبقني ثلاثة عشرة درجة ثم تعود لتصعد  
من جديد . . . رقصة مرعبة تطرب الشيطان الساخر من كآبتي اللعنة ! درجة  
ثانية . لم فعلت ذلك ؟ هل جربتم عذاب الصمت ؟ هل شعرتم بمدية حادة تنغرز  
بين أضلعكم تحفر وتظل هناك تفرك لحكم قطعة قطعة اللعنة . . . !

أضع قدمي اليسرى فوق الدرجة الثالثة لم فعلت ذلك ؟ صرخة صبي ، تنبعث  
من آخر الشارع أو من بيت الجيران ، تنبعث حادة : تزغرد بقسوة في أذني .  
انظر الى بقية الدرج ثم أضع بانهياء قدمي اليمنى على الدرجة الرابعة . أقف  
يداي تجوبان كل خفايا أسماي بحثاً عن لفافة لا أجد غير علبة ثقاب خاوية  
وبعض حشالة التبغ في قعر جيبى اليسر . القى العلبة وراني يهدوء . فتتدحرج  
لتستقر في زاوية من الدرجة الاولى الى جانب بقية لفافة ملقاة هناك منذ أيام .  
كان المشهد مضحكاً . وكدت أنسى الموقف وأفقد توازني من فوق الدرج . غير  
أنني تماسكت في آخر لحظة ورفعت قدمي الى الدرجة الخامسة في الوقت المناسب  
- صباح الخير . . . صباح الخير ، أين كنت ؟ لقد سألتها عنك رأيتها هذا  
الصباح معه . . . اللعنة لماذا يطاردني . كل الناس تطاردني . تبصق أمامي ،  
ابتساماً ، وتغمز بوقاحة في غفلة مني ؟! اللعنة !

اضع قدمي فوق الدرجة السادسة • أقف • جوع وظمأ شديد ورغبة ملحة  
في سيجارة ••• سيجارة واحدة تكفي ••• أتلثمس الطريق ثانية الى جيبى •  
أبحث فى كل الزوايا • فأتلثمس فخذي وتعاقد أصابع يدي اليمنى أصابع  
اليسرى • سيجارة واحدة ، اختبئ خلف يياضها من فحيح ضجيجهم وبضاضة  
رحولتى ••• اللعنة !•••

أضع قلمي فوق الدرجة السادسة ، وهناك على مسافة ثمانية درجات ورواق طويل وأربعة عشر قدما أجدها • طاولتي القديمة • فوقها ترقد علبة السجائر الحبيبية • سأتناول لفافة واحدة • ادغدغها بنظراتي النهمة ثم أضعها برفق شديد بين شفطي الجافتين • • أمررها أسفل أنفي مرة • • مرتين • • • ثلاثا • أغمض عيني وأستنشق ريحها الدافئ ، •

ما أجمل عينيها ! كل الناس قالت ذلك ، فتيات كثيرات رأيتهن ، يتابعنني وإياها يتحسر العانسات ،

كنت أتابع سيرى بتلعثم • أحاذر اصطدام قبلى ، اليمنى باليسرى وأحاول جاهدا تقويم انحناء ظهري • كنت أختشى النظر اتهم ٠٠٠ أضغ قدسى اليسرى فوق الدرجة السابعة لم قالت ذلك ؟ ما ألد السجائر ، ماذا لو كانت بين يدى ، تتلوى باغراء بين شفتى تصدر أهات فى دلال العذارى ، وحدى وحدى اسمع أهات السجائر • والدرج ما زال طويلا • ثم الرواق ، وأربعة عشر قدما • وثلاثة عشرة قدما • وثلاثة أشبار أو أربعة حتى أصل الى علبة السجائر فوق الطاولة • اللعنة !

أضع قدمي اليسرى بتخاذل فوق الدرجة الثامنة ومرة أخرى ينبعث صراخ الصبى كان حادا هذه المرة وصوت امرأة اجش ، تنفوه بكلام بذى : « اسكت يا ابن الـ ... » والصراخ يتواصل مولولا ينغرز بشراسة فى طبلة أذنى ... ما أطول الدرج ، مازال أمامى ، خمس درجات أخرى ، قالت لى : « أنا لا أشعر معك بأى شئ ، طبعاً ! حتى اننى قلت لصديقتى عندما سألتنى عنك بأننى أشعر وكأننى أرافق صديقة ... » نظرت إليها ببلاهة أخفى فى تضاريس وجهى فيها مريراً ، كانت تضحك . « هل أغضبك ما قلت ؟ أَدفع حياتى كلها مقابل سيجارة . سيجارة واحدة تكفى لى لأطلب المزيد . انظر خلفى ، كانت عيلة الثقب

ترقد الى جوار بقية السيجارة الملقاة الى جانبها فى الدرجة الاولى ، اه لو كانت بجانبى ، لماذا لم اتكلم ؟ لماذا وقفت كالابله ؟ لم ارتبكت ؟ بانهيأ اضع احدى قدمى فوق الدرجة التاسعة ، ... اذكرها الآن جيدا كانت تسمح على شعرى أحيانا ، وانا طفل صغير : وتقول يزهو لجارتنا باننى أفضل من فتاة ، ثم تعدد لها محاسنى بطريقة تغيظنى . وتختتم قولها عادة بضربة على مؤخرتى ، قائلة : (هيا يا بنيتى ، اكملى القسيل ... ) لكنها انقطعت عن هذه العادة السيئة الآن ، وفى السنة الفارطة قالت لى : «لقد أصبحت رجلا يا بنى ، ...» قالت ذلك بعد عشرين سنة ويومها بقيت امام المرأة أكثر من ساعة اتحسس عروق ذقنى السود .

كانت أمى قاسية . كل الجيران يقولون ذلك . لا أذكر أنها سمحت لى مرة واحدة باللعب خارج الرواق . وأذكر أنها اشترت لى مرة عروسا سوداء من «البلاستيك» وامرتنى بالا أمزقها لكننى فعلت .

أضع قدمى فوق الدرجة الحادية عشر . رغبة جامحة فى سيجارة لكننى لن أسعى اليها . سأكتب لها خطابا جارحا . سأكتب انى اجتفرك حد الموت !!! ، ولكن سيجارة واحدة لا تكفى . العلبة فوق الطاولة ولا يزال أمامى ... والرواق فى طول الف ثعبان ونصف عرض الطاولة وبقية الدرج والرغبة ... اللعنة .

أضع قدمى اليسرى فوق الدرج الثانية عشر . حين رأيته لاول مرة أحسست بشىء غريب يجتاحنى اليها فابتسمت . احمر وجهى وكدت أسقط وأنا مسرع باتجاه القاعة . دخلتها الهث ، كان الاستاذ متكى الى السبورة . نظر نحوى بلا مبالاة فاندست فى اول طاولة وبعد الحصص اعرضتنى بابتسامتها الغريبة . لا أذكر كيف تم الامر غير انه من المؤكد أنها قالت لى أشياء ، وأننى قلت لها كذلك كلاما لا أذكره ، وقالت لى يوما بأنها تحببى ، شعرت يومها برغبة فى تقبيل فم أمى رغم رائحة البصاق التى أمقتها ، ولكنها اليوم قالت بأنها تشعر وكأنها ترافق فتاة يمكننى الاسراع اكثر لاصل الى علبة السجائر .

– «هل اغضبك ما قلت؟» لا .. يا حبيبتى ! مطلقا ! ..

جبات «دافئة من العرق فى أعلى جبينى وأخرى كالصقيع فى أسفله ورغبة وعطش وظما وسيجارة ورواق وعلبة ، وصورة كريمة لطفل يبكى . رائحة عفونة وطعم «بصاق» ورضاب كثيف ، أستند الى الحائط والبحر والدوار ، والرواق ، والثعبان ، وضباب علبة ، وطاولة أسفل المدرج والرواق ، دوائر لولبية .. تحيط بى رغبة فى التقى» أزرق ، سيجارة تقترب منى ، تهرب يداى تنزلقان من الحائط ... درجة ... اثنتان ... ثلاث ... وألم حاد فى رأسى ومفاصلى ، دم يغطى جبينى ، ثم يستحيل كل ذلك الى سواد حين أستقر الى جانب علبة ثقاب خاوية وعقب سيجارة قديم .

كمال العيادى القيروانى / القيروان - 1986



## « عقدة الام في قصة » شظايا

« فرددناه الى امه » (1)

طالعت بكثير من الاهتمام والتأمل قصة السيد كمال العياري القيرواني تحت عنوان «شظايا» فاثارت قراءتها في نفسي جملة من التأملات والخواطر أجبت أن أسجلها عليها تكون فاتحة لحوار مثير وثرى \*



٠٢ - تقديم القصة وهيكلها العام

ARCHIVE

(1) موضوع القصة:

القصة ببساطة تتحدث عن فتى في العشرين من العمر يرجع الى بيته ذات يوم منهارا مكرها وبينما هو يصعد الدرج متثاقلا متخاذلا يتملكه شعور حاد بالتفاهة وتنداعى في رأسه الخواطر \* ونفهم فيما بعد أنه مطعون في رجولته فقد «أنثته» أمه كما يروي هو نفسه ذلك يقول : «كانت تسمح على شعري أحيانا وأنا طفل صغير ونقول بزهو لجارتنا بأنني أفضل من فتاة ثم تعدد لها محاسني بطريقة تغيظني وتختم قولها : هيا يا بنيتي اكمل الغسيل .. » \* ونفهم كذلك أنه مطعون من طرف صديقه يوم قالت له : انها «تشعر وكأنها ترافق فتاة .. » \*

ويضيق الامر بالفتى ويشد الضغط النفسي عليه فتسود الدنيا أمامه وتنتهي القصة بسقوطه من أعلى الدرج مغشيا عليه وقد غطى الدم جبينه \*

(1) «وحرمتنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه ..» سورة القصص آية 12 - 13 \*



## (2) الزمان والمكان

تجرى القصة فى مكان منعزل ضيق يمثلّه الدرج يوحى بعزلة وضيق الراوى نفسه وتتحرك داخل زمن غير مرئى وغير مقاس هو الزمن النفسى للراوى .

### (3) بطل القصة

بطل القصة هو الراوى نفسه فهو اذن من نوع «السارد المتضمن فى الحكاية Le Narrateur Homodiégétique والحاضر كشخصية فى الحكاية التى يروى أحداثها ويأخذ هذا السرد باستعمال ضمير المتكلم» (2) وهذا الراوى يقوم «بوظيفة انطباعية تعبيرية Expressive و يتبوأ مكانة مركزية فى النص» (3) .

### (4) الحوار الباطنى أو المونولوج الداخلى :

تندرج هذه القصة فى عداد القصص النفسى التى يحاول الكاتب من خلالها وبواسطتها سبر غور النفس الانسانية وقد استعمل الكاتب للوصول الى ذلك ضمير المتكلم «أنا» وعبرت هذه «الانوية» فى النص بما فيه الكفاية عن نرجسية البطل المفصوحة المجرّعة .

كما استعمل الكاتب تقنية موازية لللاوى وهو أن يجعل البطل يقيم حوارا باطنيا بينه وبين نفسه بعد أن تعذر ذلك مع الآخر مما يوحى بشدة الضغط والازمة .

والمونولوج الداخلى كما هو معروف تعبر به «الشخصية عن أفكارها المكنونة أى ما كان منها أقرب الى اللاوعى دون تقييد بالتنظيم المنطقى .. وسبيل الشخصية الى هذا التعبير هو الكلام المباشر الذى يكتفى فيه بالحد الأدنى من قواعد اللغة على نحو يدل على أن الخواطر قد سجلت كما ترد الى الذهن تماما» (4) .

وهكذا تمكن الكاتب من رسم قطاع داخلى للشخصية التى يروم تقديمها لنا بواسطة كتابة عفوية تعتمد التداعى الحر واستدعاء اللاوعى .

(2) سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل الى نظرية القصة ص 106 .

(3) المرجع السابق ص 110 .

(4) محمد يوسف نجم فن القصة ص 79 .

### 5) عقدة الراوى

يمثل «تأنيث» البطل من طرف أمه وفقدانه «الرجولة» فى نظر صديقته شرحاً فى كيانه يوجه أحداث القصة ويطورها فى اتجاه واضح نحو نهايتها المحتومة .

فألام هى عقدة الراوى الاساسية خاصة فى ظل غياب الاب وسنرى بعد قليل هذه النقطة بالذات أى مسألة غياب الاب فى القصة العربية .

### 6) سقوط البطل

يدخل البطل / الفتى فى نهاية النص «دائرة الاختناق» فيفقد أنفاسه ويأخذه الدوار وتسود الدنيا فى عينيه فيستند الى الحائط ويرى «البحر والرواق والأشجار» وعلبة وطاولة وأسفل المدرج والرواق دوائر لولبية .. ويقول «تحيط بى رغبة فى التقى» .. وأمام هذا المشهد الدرامى المؤلم يقبع فى أسفل المدرج كاتب ينتظر سقوط بطله وقد استعد لذلك وكنا ننتظر أن يتلقاه ولكنه لا يفعل بل تركه يسقط أشنع سقطلة كل ما فعل هو أنه اكتفى بنقل الخبر إلينا دون تعليق : «استقر الى جانب علبة تقاب خاوية وعقب سيجارة قديم» .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

انه الكاتب ينشط العملية القصصية ويتابع الاحداث من بعيد دون أن يشارك فيها مباشرة .

### 7) ابعاد العنوان :

.. وحسنا فعل الكاتب حين جعل من كلمة «شظايا» عنواناً لقصته فقد عبر هذا العنوان الى حد بعيد عن الازمة النفسية التى يمر بها بطله وهو يصعد المدرج فى اتجاه بيته ويستعيد كلمات صديقته الموحجة وسلوك أمه القاسى : شظايا محرقة انفجر لها كيانه كله فتحطم واستحال «الى سواده» يقول الكاتب فى آخر النص : «ثم يستحيل كل ذلك الى سواد حين استقر الى جانب علبة تقاب ..» الخ .

### 8) تنزيل القصة فى أدبنا الحديث

المطالع لقصة «شظايا» يدرك من أول وهلة أنها صورة شمسية لما جاء خاصة بثلاثية محمد ديب : الدار الكبيرة والنول والحريق وكذلك المصابيح الزرق

والمستنقع لحنا مينة بل هي تكاد تكون صورة شمسية لكل الادب الرجولي مثل رواية عبد الرحمان منيف: حين تركنا الجسر وفتحي غانم زينب والعرش ومجيد طويبا غرفة المصادفة الارضية وغيرها (انظر ايدولوجيا الرجولة في الرواية العربية ورمزية المرأة في الرواية العربية والادب من الداخل وشرق وغرب وكلها من تأليف جورج طرابيشي ..

### 9) الجانب الفكري لمأساة الراوي

وأغلب الظن أن هذه القصة ليست مجرد «قصة عائلية» (5) بل هي تتجاوز ذلك الى ما هو أعمق وأبعد . ولعل ذلك الفتى الذي امتنع الكاتب عن ذكر اسمه عمدا يمثل في أزمته بوجه من الوجوه «أزمة الاجيال العربية المعاصرة» على حد تعبير فوزية الصفار (6) أو «أزمة المثقف التونسي المعاصر» على حد تعبير الحفناوي الماجري (7) وهي بهذا الاعتبار دعوة من الكاتب الى النظر في أنفسنا وجاء في القرآن الكريم : «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (8) . يقول عز الدين المدني على لسان أحد أبطاله في حكاية الباب: «لو أنك سحبت الباب لحرك بدلا من دفعه أمامك لخرجت من الزنازة منذ اليوم الاول» (9) وهنا تكمن أهمية النص الذي بين أيدينا .

وسوف نحاول فيما يلي مقارنة مأساة الراوي في مستوياتها التعبيرية والدلالية معا .

### II - ذكر ولا ذكر

#### أو تشريح الذات العربية

تنفتح القصة على حاضر مهزوم يحيل بدوره الى مستقبل صعب : «لكم تطول

(5) عبارة «قصة عائلية» من استعمالات جورج طرابيشي في دراسته لثلاثية

محمد مديب انظر الرجولية وايدولوجية الرجولة في الرواية العربية .

(6) فوزية الصفار أزمة الاجيال العربية المعاصرة دراسة في رواية موسم الهجرة

الى الشمال للطبيب صالح بحث جامعي باشراف الاستاذ منجي الشمللي .

(7) الحفناوي الماجري : أزمة المثقف التونسي المعاصر .

(8) سورة الرعد آية II

(9) عز الدين المدني - من حكايات هذا الزما نص 29 .

المسافة، وسنرى كيف يتشكل هذا الحاضر المهزوم والمتأزم في النص عبر ما يمكن تسميته بـ «عقدة النص» (IO)

نحن اذن امام بطل مجروح قد طعن في الصميم بسكين اخترقه فمزقة اربا اربا «هل شعرتم بمدية حادة تنغرز بين أضلعكم تحفر تحفر وتظلل هناك تفرك لحكمم قطعة قطعة» «كل الناس تطاردني • تبصق أمامي» حتى أمه بصقت عليه «أذكرها الآن جيدا كما أذكر طعم رذاذ البصاق الكريه في فمي كلما صرخت في وجهي» •

كيف قارب الكاتب هذا الطائر المجروح ؟

يتضح من القراءة الاولى للنص أن العيادي استعمل لتقديم هذه الشخصية الينا اسلوبا عياديا سريريا يعتمد على سبر اغوار النفس عن طريق التذكر والتداعي وحتى الهذيان والصراخ فكان البطل في حضرة طبيب نفساني يكشف عليه أي عاينا في نهاية التحليل مستعملا طريقة البوح فجاء الاسلوب نرجسيا أنويا متداعيا منكسرا مفتقدا للبلاغة لكنه مشحون حد الانفجار •

واذا أمكننا أن نستعير من التحليل النفسي بعض مقولاته قلنا ان النص قد تحول بكامله الى طاولة تشريح تمتدث عليه الذات العربية وقد أصبحت موضوعا للطرح والنقاش لاجراء عملية قيصرية رهيبة عن طريق التجريح والكي و«آخر الطب الكي» هي الذات المنكسرة وقد أصبحت موضوعا لنفسها • ان وقوف الراوي أمام المرأة بعد عشرين سنة من عمره له أكثر من معنى : «بقيت أمام المرأة أكثر من ساعة اتحسس عروق ذقني السود» فالواضح انه لم يقف أمام المرأة لينظر أي الى ذاته الباطنة المنجرحه في محاولة لترميمها من جديد •

والوقوف أمام المرأة قد تناوله كتاب القصة عندنا ويورد الحفناوي الماجري في كتابه «أزمة المثقف التونسي المعاصر» فصلا كاملا لما أسماه بظاهرة المرأة في القصة التونسية (II) • يقول أحمد مو على لسان أحد أبطاله في زمن الفئران الميكانيكية : «جلست أمام المرأة أنظر الى وجهي الذي كان وجه ممثل فاشل

(IO) تعرضت رجاء نعمة الى «عقدة النص» في دراستها للموسم انظر رجاء نعمة صراع المهزوم مع السلطة ص 23 •

(II) انظر الحفناوي الماجري أزمة المثقف التونسي المعاصر ص 87 •

الى حد مزعج» (I2) انه العربي الفاضل كلما قلب نفسه في المرأة انقلب على نفسه «خاسئا وهو حسير» .

ولنترك الى حين الادوات التي اهتمت اليها الكاتب لرسم ملامح شخصيته الرئيسية في القصة لنلقى نظرة الى مصدر معاناة البطل وسر تأزمه أعنى أمه هذه التي شكلت بالنسبة اليه عقدة لم يستطع التحرر منها .

فالعلاقة بين الفتى وأمه متوترة الى أبعد الحدود فقد «أنثته» الى حد الحياء لنترك الفتى يروى ذلك بنفسه يقول : «كانت أمي قاسية . كل الجيران يقولون ذلك لا أذكر أنها سمحت لي مرة واحدة باللعب خارج الرواق وأذكر أنها اشترت لي مرة عروسا سوداء من البلاستيك وأمرتني ألا أمزقها لكنني فعلت» . وكانت «تقول بزهو لجارتنا بأنني أفضل من فتاة ثم تعدد لها محاسني بطريقة تقيظني ...»

ومن غير أن نواصل أكثر في تقديم الشواهد فالنص حافل بها يكفي أن أشير فقط الى أن «تأنيث» البطل قد تناوله الادب الرجولي بنفس الكيفية وأكاد أقول بنفس الالفاظ تقريبا فهذه أم عمر الدزيري في الدار الكبيرة لمحمد ديب تتحدث عن ولدها فتقول «ما هذا الصبي الا أنثى، بل ان الانثى لخير منه ...» (I3) ثم تراها تصرخ في وجهه : «انظر أنك أصبحت رجلا ؟ ...» يميناً لن يكون لك هذا ... ما تزال بي قوى تكفي لتحطيمك أنا هنا الأمرة الناهية وستظل خافضاً رأسك ما احتجت الى البقاء تحت هذا السقف ...» (I4)

وتصف إحدى شخصيات المصاييح الزرق لحنا مينه البطل بأنه كان «أعقل من النساء» (I5) ونرجع الى بطلنا فحين قالت له أمه يوما : «لقد أصبحت رجلا يا بني ...» بعد عشرين سنة ... كان كل شئ، قد فات ... ربما يهمننا من كل هذا أن تبحث في نظرة البطل التي أصبح يحملها نحو «أمه

(I2) احمد مومو زمن الفئران الميكانيكية ص 65 .

(I3) محمد ديب الدار الكبيرة ص 75 . انظر كذلك دراسة جورج طرابيشي الرجولة وايدولوجيا الرجولة في الرواية العربية .

(I4) محمد ديب النول ص 381 - 382 - انظر كذلك الرجولة وايدولوجية الرجولة في الرواية العربية لجورج طرابيشي .

(I5) انظر ج . طرابيشي ص 85 .

الخصاء» انها المرأة المربعة التي تتبعه في كل مكان كشيطان عليه اللعنة «عيونها تتراقص أمامي ، تنط هنا وهناك .. رقصة مربعة تطرب الشيطان الساخر من كآبتي . اللعنة» بذبة ككلامها «تفوه بكلام بذي» اسكت يا ابن كذا ..» كربية كبصاقها «أذكرها الآن جيذا كما أذكر طعم رذاذ البصاق الكريه في فمي كلما صرخت في وجهي» انها سبب مأساته المنفرزة بين أضلعه كـ «مدية حادة تحفر تحفر وتظل هناك» «تفرك لحمه قطعة قطعة» يقول جورج طرابيشي في دراسته لثلاثية محمد ديب : «لم تكن عيني في نظر ابنها عمر الدزيري مجرد امرأة بل كانت علاوة على ذلك امرأة بشعة» (16) .

ان الراوى - من خلال لازمة اللعنة التي تتبعه في كامل النص - كان يلعن أمه ومن خلالها نفسه والظروف المحيطة به وعندما كان يستمع وهو يصعد المدرج لصراخ صبي ينبعث حادا كان ذلك الصراخ بمثابة صرخة تنبث من داخله .

مكذا كانت نظرتة الى أمه .. ولكن - وهذا سر مأساته - لم يستطع الانفصال عنها . كانت نفسه مشدودة الى حضنها بدافع خفي لا يتبينه كالجنين مشدود الى أمه بحبل الحياة يقول عندما قالت له صديفته يوما بأنها تحبه : «شعرت يومها برغبة في تقبيل فم أمي رغم رائحة البصاق التي أمقتها ..» تمام بالام وحنين دائم الى حضنها الدافئ» فهل نحن من جديد أمام بطل أوديبى على نحو ما صورته الاسطورة القديمة ؟ او ليس رجوع موسى الى ثدى أمه بعد القائه في النهر يوحى بعدد الدلالات التي تتجاوز النص القرآني لتثريه في آن «وحررنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه ..» (17) .

على أن اللافت للانتباه في كل هذا هو غياب الاب في النص غيابا يبدو مركزيا اذ به يمكن ان نفسر عدم توازن الفتى الذي كان يبحث عن «أبيه» من خلال بحثه عن «رجولته» فليس من الصدفة المحضة مثلا أن يعيش كل من عمر الدزيري في الدار الكبيرة لمحمد ديب وبطل رواية المستنقع لحنا مينه في غياب الاب و«في جو مؤنت خالص» (18) على حد تعبير ج . طرابيشي وكذلك كان الاب دائما في

(16) ج . طرابيشي : ايدولوجية الرجولة في الرواية العربية ص 23 .

(17) انظر هامش عدد I .

(18) انظر ايدولوجية الرجولة في الرواية العربية ج . طرابيشي ص 242 .

الرواية العربية رمز التوازن و « الحرية والكرامة والسلام » من به يحقق البطل ذاته (19) ويكشف Maureen Chales وهو من رواد مدرسة النقد النفسي للادب في دراسته لمسرح راسين ثبات صورة المرأة المتسلطة ٠٠ وكذلك صورة الام العدوانية المسترجلة ذات النفوذ ٠٠ ويلاحظ أن لهذه النماذج صلة بغياب الاب (20) \*

نريد أن نصل بهذا الى قول شئ، قد يصدم البعض وهو أن تقديم الام ومن خلالها المرأة في صورة شيطان مخيف والشواهد على هذا كثيرة في النص : « اشترت لي مرة عروسا سودا » ، « كم كنت أخشى نظراتهن » ، « سأكتب لها خطابا جارحا ٠ سأكتب اني أحتقرها حد الموت ٠٠ » ، قلت ان تقديم الام والمرأة عامة على هذا النحو وتقديم الاب في صورة كاملة سواء، تصرّيا أو تلميحيا بالحضور أو بالغياب ما يبعث على القرف لانه ينطوي في منطقته الداخلي على معاداة للمرأة وتخريب للعلاقات بينها وبين الرجل وهو طرح جنسوي كنا نعتقد أننا تجاوزناه \*

هذا ايها السادة فتلنا الضائع بصرخ في وجوهنا على نحو من قول الشاعر :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

نراه يتراوح في ضياعه بين الصعود والسقوط ، بين حاضر مهزوم ومستقبل صعب ، بين رجولة وأنوثة على حد تعبير الكاتب \*

بقي أن أشير الى الشبه الكبير الموجود بين بطل محمد ديب في ثلاثية الجزائر وبطل المستنقع لحنا مينه وبين الراوى في قصة « شغايا » وذلك من حيث :

– سن البطل

– وتجربته مع الام الشريرة وتأنيته من طرفها وكذلك من حيث غياب

الاب (21) \*

(19) انظر مصطفى التواتي فن الرواية الذهنية لدى نجيب محفوظ ط I ص 47

(20) أنظر رجا، نعمة صراع المقهور مع السلطة ص 25 و 26 \*

(21) أنظر ج . طرابيشي الرجولة وايدولوجية الرجولة في الرواية العربية

ص 250 \*

فهل هذا من قبيل الصدفة أم من قبيل التناس ؟

سؤال نوجهه الى المؤلف .

### III - تاريخ ولا قدر

وأتساءل هل يمكنني أن أبقى عند المستوى الاول للنص - وقد قلت في أول الحديث ان هذه القصة لا يمكن ان تكون «قصة عائلية» (22) لفتى عصابي مراحم - أم أتجاوز ذلك لانظر الى نفسي والى ما يدور حول فأرى ويا هول ما أرى ! أرى الخيبة والعجز وعدم القدرة على الفعل . هي الفحولة انعدمت في هو الخصاء فينا . يقول بطل عبد الرحمان منيف في روايته : حين تركنا الجسر : «أنا رجل مخصي ، مخصي حتى الثمالة» (23) .

هل كان هذا اختيارا واتفاقا ؟ أم لعل فينا ؟ واذن فكيف السبيل الى الخلاص من «وحلتي» . كيف أكون وقد انحل كيائي واغتربت عن نفسي فلا أنا أنا ولا أنا هي . هو العجز يتبعني حتى أفك أسئلتي وما أكثرها وما أخرجها :

«القيت أسئلتي على الاموات فارتعدوا» (24)

حتى أفك اللغز الذي يحيرني . أوديب أنا قديم متجديد . قدر واسطورة لم تنته حتى أتزوج عصري . أتححر من ثدى أمي .

### ولكن .

الهبثني السياط تنزل على جسدي فتنفذ الى ذاتي واعماقي تزيدني قيда على قيدي «هل شعرت بمديّة حادة تنغرز بين أضلعكم تحفر تحفر وتظل هناك تفرك لحكم قطعة قطعة . اللعنة !» : تجلبد للنفس وتعذيب لها بدون مبرر . هي مازوشية المثقفين اليوم يلتذون بسياط السادى فيهم فيكتفون بالنديب والعويل ولذة التجريح للذات .

(22) يقول ج . طرابيشي في دراسته لثلاثية محمد ديب : «من الخطأ كل الخطأ أن نقرأ سيرة عمر الدزيري على أنها مجرد «رواية عائلية» . انظر :

الرجولة وايدولوجية الرجولة في الرواية العربية ص 34 .

(23) عبد الرحمان منيف : حين تركنا الجسر ص 21 .

(24) محمد الصغير اولاد أحمد .



ثم •

ما معنى أن أكون الفارس الفحل وحدي وعيلة لم تعد عيلة وليلى لم تعد ليلي  
تنظر الي من وراء حجاب تغيرت الاشياء والظروف وتقدم التاريخ ومازال الطريق  
طويلا • قوة جديدة • فحولة جديدة الى جانبي فاذا الفارس فارسان واذا القوة  
قوتان «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ••» (25)

فلا رجولة ولا أنوثة ، لا فحولة ولا خصاء •

« وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال • • »

يقول المتنبي • انما هو الانسان واحد أحد «كائن جوهر فرد» يتقدم «من  
كل زوجين اثنين» (26) «فاسلك فيها من كل زوجين اثنين» (27) فاذا الصبح  
ينبلج واذا النور ينسط واذا الغز ينكشف واذا الانسان العربي ينبعث من  
جديد •

ان تشريح واقعا المعلوم والممزق بمنطق الجنس ينطوي «على سوء فهم  
خطير» (28) للتاريخ هذا الذي «يعنفه الضاري يحطم الاسطورة اللذيذة ويبدد  
الادهام» (29) •

### خاتمة مفتوحة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذه «شظايا» قصة الرجولة العربية المراهقة والممزقة التي أضاعت طريق  
تحررها فانقلبت على نفسها تجلد ذاتها وسوف تبقى كذلك الى أن تدخل عصرها  
عندها تتحرر من عقمها الموروث ووهيها الجنسي الزائف •

عسى أن أكون قد قرأت فاغنيت وعسى أن يكون هذا الغنى في محله من  
الفهم وفي ما يحتاجه النص نفسه من اضاءة • هو «كلام على كلام» ولكنه كلام  
متصل بالنص منفصل عنه في آن وذاك وجه من وجوه افتتاح النص على الآخر •

مصطفى الشريف

(25) سورة الانفال آية 60 •

(26) سورة هود آية 40 •

(27) سورة المؤمنون آية 27 •

(28) توفيق بكار : مقدمة موسم الهجرة الى الشمال سلسلة عيون المعاصرة

دار الجنوب للنشر •

(29) توفيق بكار : مقدمة موسم الهجرة الى الشمال سلسلة عيون المعاصرة

دار الجنوب للنشر •

# الفهرس

فهرس العدد الثاني (مارس / جوان 1988) من المجلد العشرين

3	قصص	تصدير
5	محمود بلعيد	خروف الجنة
12	التابعى الاخضر	اللقيط
21	زهرة الجلاصى	عمارة الكلم
27	واى بوجوفيتش	دور العربى فى الادب الشعبى
37	حياة بن الشيخ	وحتت مرجانة
47	عبد الله الساعدى المغربى	زائر الليل
51	ابراهيم درغوث	كوايبسه
56	خديجة الجوينى	حتى لا يفر الحلم
62	محمد عبد الرحمان يونس	رحيل النهارات صوب البحر الاسفلتى
65	احمد الفهري	العقاب
69	منور النصرى	لون دمي
77	الحبيب مرموش	الوجه الآخر
79	ابراهيم بن سلطان	الحذاء والوحل
82	لطفى السلمى	ما اجتمع من الزئبق
90	كمال العيادى القيروانى	شطايا
94	مصطفى الشريف	عقدة الام فى قصة - شطايا